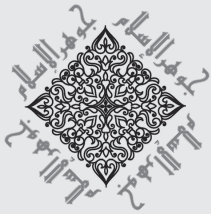

جوهر الإسلام

العدد 8/7 ـ السنة 22
جمادى الثانية 1445 هـ
ديسمبر 2023 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صدق الله العظيم

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

2023

المحتوى

الافتتاحية : صمود المقاومين المدافعين عن الأقصى 6
رئيس التحرير
تفسير آيات من القرآن الكريم 9
الشيخ المجيب المستاوي
الفلسفة والأخلاق..... 13
بقلم العلامة الشيخ عبدالله بن بيه
من شعراء النّبوّة: ذات العِزَّة والقوّة 19
بقلم الأستاذ صالح العَوْد/ فرنسا (باحث وكاتب)
لا أمل في الخروج من أزمة عالمنا المعاصر إلا بالاستنارة بهدى الدين الإلهي
كما أنزله الله هدى ورحمة للناس..... 21
بقلم فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر
بيان الأزهر في شأن أحداث غزة..... 25
الإســـلام والعنـــــف (الجزء الأوّل) 26
بقلم الأستاذ كمال ساسي
الإسلام في العصر الحديث : كيف نطبق الإسلام في هذا الزمن المتحول ؟... 34
بقلم المفكر الهندي الأستاذ وحيد الدين خان (رحمه الله)
أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر الأداة الثانيـــة:
معرفـة أصـول الحـديث..... 37
بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو
في رياض السنة (شرح الأربعين النووية) الحديث السادس والعشرون
شكر النعم 42
بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي
سلسلة الجدل من الافتراق للاتفاق جدلية الدين والفلسفة من منظور ابن رشد 47
بقلم الدكتور محمد بشاري

مالك بن نبي الجزائري عملاق الصحوة الإسلامية في العصر الحديث..... 49

بقلم الأستاذ صالح العَوْد

مالك بن نبي المفكر الرائد في تحليل مشكلات الحضارة والمستشرف لمستقبل الأمة 52

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

مالك بن نبي رجل الرسالة «ان القبر الحقيقي للأموات هو قلوب الاحياء» ... 55

كتبه بالفرنسية الأستاذ رشيد بن عيسى

ونقله إلى العربية الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

تأبين الشّيخ العلاّمة سيدي محمّد بن حمدة الشّريف رحمه الله 58

بقلم الدكتور وليد التهامي

أخطر المعارك تلك التي يخوضها المسلم داخل كيانه 61

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي

ماذا فعلتَ بدِرنة أيّها (الدنيال ؟) 63

شعر الأستاذ إبراهيم علي الربو (ليبيا)

خطبة الجمعة : الصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى اللّه هي أسباب النصر والفلاح 65

الخطبة التاريخية من العهد المريني فِي الْحَظّ عَلَى رَفَضِ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءَ فِي رَفْعِ مَا دَهَمَ مِنْ حَصْرِ الْكُفْرِ وَإِثْخَانِهِ 70

بقلم الأستاذ عبد الهادي هنركامب

يسألونك قل : مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ 76

البيان الختامي للمؤتمر 36 للسيرة النبوية المشرفة 78

إعلان نواكشوط لإصلاح ذات البين وفض النزاعات..... 81

توصيات الدورة 18 للملتقى العالمي للتصوف 84

تقرير صحفي خارج الوطن:..... 85

مالك بن نبي : شعب يقرا ...شعب لا يجوع ولا يستعبد 87

بقلم صالح المحاجة

الافتتاحية :

صمود المقاومين المدافعين عن الأقصى والأرض المباركة وراءه مدد والوقوف بجانبهم ونصرتهم واجب على الجميع

يصدر هذا العدد 7/ 8 س22 من مجلة جوهر الإسلام وقد مر ما يزيد على شهرين على تعرض الشعب الفلسطيني الأعزل في غزة إلى تصفية عرقية وعدوان غاشم تالبت فيه إسرائيل مع حلفائها الغربيين استهدف المدنيين العزل من الأطفال والنساء والشيوخ و لم تسلم من هذا القصف الاحياء السكنية ولا المشافي الواحد تلو الآخر بدعوى انها تتحصن بها المقاومة وتتخذ تحتها الأنفاق تنطلق منها هجماتها الصاروخية على عدوها وهي إن فعلت ذلك فهو يندرج ضمن حقها المشروع في الدفاع عن أرضها وعن شعبها. ولا شيء من دعاوى إسرائيل وحلفائها أثبتته الأحداث. و يتواصل العدوان الوحشي ليلا نهارا وتتضاعف أعداد الشهداء الذين بلغوا حوالي عشرين ألفا ثلثهم رضعا وأطفالا فضلا عن الجرحى الذين أعدادهم أضعاف ذلك بكثير وأصبحت أحياء غزة انقاضا وآلة الحرب الاسرائيلية جوا وبرا وبحرا لا تتوقف ووعيد القادة الاسرائيليين لا يتوقف ضاربا عرض الحائط بكل تنديد بالعدوان الغاشم وهو عدوان استنكره الأحرار ممن روعتهم وحشية الصهاينة وكان الاستنكار له من طرف الأشقاء اضعف ويا للأسف الشديد وهم الذين يفرض واجب الاخوة الدينية والقومية ان يكونوا اكثر فعالية وتأثيرا ولكن هل نقول (لقد اسمعت لو ناديت حيا).

ان محنة الشعب الفلسطيني تدمي القلوب وتدمع لها العيون ولا يحلو معها لمؤمن طعام ولا شراب ولا نوم لكن ما يعزي المسلم من هول هذا العدوان الغاشم هو بسالة وشجاعة وصمود المقاومين الفلسطينيين(الذين لا سلاح لهم ولا عدة لهم ولا عدد إلا ما اعدوه بإمكاناتهم المحدودة جدا) وهو صمود اربك جيش الاحتلال المدعوم والمسنود بأكبر قوة عسكرية في العالم التي أرسلت بوارجها وطائراتها لمحاربة مقاومة وليس دولة غير مسنودة عسكريا من طرف أي كان وحتى من طرف أشقائها المحيطين من الدول العربية .

انها بحق ملحمة للصمود الفلسطيني يسجلها له التاريخ وكيف لا وهو يدافع

عن حقه المشروع في الدفاع عن ارضه و وطنه المغتصب من طرف الصهاينة وحلفائهم ولعل سر هذا الصمود- الخفي والذي حقق ما اذهل العدو الذي ظن انه لا يغلب و انه بما عقده من معاهدات صلح وتطبيع سينسى شعب فلسطين في ارضه ولكن هيهات هيهات -.

ان سر هذا الصمود وتلك البسالة التي تعلمتها الأجيال الفلسطينية المتعاقبة جيلا بعد جيل يكمن في مدد الهي لأولئك المرابطين في الأرض المباركة كما بشرهم بذلك من لا ينطق على الهوى عليه الصلاة والسلام و ما جاء في الكتاب الذي انزل عليه من ربط لا ينفك بين البيت الحرام الذي في مكة المكرمة والمسجد الأقصى الذي في فلسطين في قوله جل من قائل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾.

فأرض فلسطين حق للمسلمين وللفلسطينيين بدرجة أولى وهي مسرى سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام و فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين المسجد الأقصى الذي تشد الرحال إليه كما تشد إلى الحرمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة

إن فلسطين حق للمسلمين من أبناء فلسطين وهي حق كذلك لمن يعايشهم في سلام من غير المسلمين الذين أعطاهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عند فتح المسلمين لبيت المقدس عهدا اشهد عليه من كانوا معه من قادة الفتح ومضى على احترام هذا العهد المسلمون عبر تاريخهم المديد وظل المسلمون يتحملون مسؤولية الدفاع عن فلسطين من منطلق الواجب الديني والقومي والوطني وسجل لهم التاريخ بطولات كانوا فيها مثال الشجاعة والشهامة الإنسانية ولم يفعلوا بأهل فلسطين ما فعله بالأمس الصليبيون وما يفعله اليوم الصهاينة المغتصبون و تشهد على ذلك اليوم المعاملة الإنسانية من طرف المقاومة في غزة للأسرى الذين وقعوا بين ايديهم من مختلف الجنسيات بما فيها الاسرائيلية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ .

ان النصر على العدو الظالم المغتصب الصهيوني آت بإذن الله الذي لا يخلف وعده والقائل في كتابه العزيز ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ وقد جعل الله نصر المؤمنين حقا عليه فقال جل من قائل﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وان الفتح لن يتأخر بإذن الله . وبالصبر والمصابرة والمرابطة والصمود في الوقوف في وجه العدو المغتصب سيأتي بإذن الله الفرج بعد الضيق والشدة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

ويومئذ يفرح المؤمنون فهنيئا لمن صمد إلى أن استشهد بما اعده الله للشهداء من ثواب واجر عظيم وهنيئا لمن سيتحقق بإذن الله النصر على أيديهم ويستردون الحق المغتصب وهنيئا لمن تحركت في أنفسهم الغيرة و العزة وما تستوجبه رابطة الاخوة من نصرة ودعم ومساندة لاشقائهم الفلسطينيين فان مسؤولية الدفاع عن الأقصى والأرض المباركة ونصرة المرابطين يتحملها الجميع ولله الأمر من قبل ومن بعد

رئيس التحرير

رحاب القدس اهزج في رباها

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

رحاب القدس اهزج في رباها اهـيم بها وافنى في عـلاها
واسبح في خضم من رؤاهـا فكيف اطيق عيشا في سواها
ولهي دمي وانفاسي وقصدي

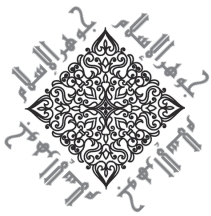

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي ـ رحمه الله ـ

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ـ صدق الله العظيم (سورة الأنفال ـ الآيات 27-28-29)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ هذه الآية من سورة الأنفال كالآية التي سبقتها جعلت مسألة الخيانة التي ينهانا الله عنها موجهة لله وللرسول ثم للأمانات كما أن الاستجابة المطلوبة منا هي لله وللرسول ولدعوة الحياة .في حين أن الله والرسول لا يصل إليهما نفع ولا ضرر من استجابتنا أو من خيانتنا وإننا لنعلم أن ما قد نتثاقل في أدائه من طاعات أمرنا بها الله سبحانه وتعالى هي في واقعها المنفعة المحضة البعيدة والقريبة الواضحة أو الخفية ليس لله وللرسول منها إلا الطاعة لهما والامتثال لإرادتهما الحكيمة وعلى هذا الأساس تكون الخيانة لله وللرسول اما بترك الفرائض والسنن أو بأن يكون ما يبطنه الإنسان خلاف ما يظهره واما بتثاقل في أداء ما عليه من واجبات تتوقف عليها أساسا سعادته وسعادة الآخرين، أو يكون أظهر الخير والبر وابطن عكس ذلك فكان ممثلا بارعا ومنافقا من نوع ممتاز

فانه بهذين الانحرافين الخطيرين يعتبر متمردا على أوامر ربه الذي لا يرضى له الشر ومضرا بنفسه وبالهيئة الاجتماعية التي هو جزء من أجزائها عليه أن يسعى لجلب الخير إليها ودرء الشر عنها وإلا اعتبر خائنا لأماناته التي هي كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى يقول ﴿**وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِنِينَ**﴾، وتلك الأمانات التي استودعها الله عنده تشمل الجوارح والعقل وبقية النعم المادية والمعنوية التي يخالها الواهمون نتيجة للمجهود الشخصي وهي في واقع الأمر ليست كذلك إذا علمنا أن المبدئ والمعيد والمحيي والمميت هو الواحد الأحد سبحانه وتعالى. وهو الذي القادر على أن يسحب كل نعمة يتقلب فيها المترف المختال في أقل من طرفة عين، كيف لا وهو الذي يقول﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾ ويقول ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾ **ويقول أيضا** ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾

إلى غير ذلك من آيات القرآن التي تدل كلها على أن العبد وما ملكت يداه لسيده ومولاه ولله در الشاعر الحكيم الذي يقول:

و ما المال والأهولون إلا ودائع ولا بد يومـــــا أن ترد الودائع

و إذا ما علم المؤمنون العقلاء هذه الحقائق الثابتة وتيقنوا أن ما تحت أيديهم أمانات وودائع لا يتصرفون فيها إلا تصرف الوكيل أو المستعير لزمهم أن يحسنوا التصرف وأن يكونوا أمناء على ما استودع تحت أيديهم يبلغونه أحسن تبليغ ويحفظونه أجمل حفظ وبذلك تستمر الوكالة لتحقق شرط الرشد وينتفي عنهم التعنيف واللوم إذا وقعوا في سهو أو غلط غير مقصود لأن الله سبحانه وتعالى نفى الحرج عن عباده في حالات الغلبة والذهول والنسيان إذ قيد كل ذلك بوجود العلم والإضمار، ﴿**لاَ تَخُونُواْ اللهَّ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

ثم يزيد سبحانه وتعالى في تقرير الغرض المقصود فيقول ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ نعم أموالكم وأولادكم سبب للوقوع في الفتنة. أو هي امتحان من الله ليبلوكم كيف تحافظون معها على حدوده. وكلا الأمرين واقع وصحيح إذ من الناس من يجرهم النعيم إلى بطر النعمة أو إلى الخروج عن دائرة المعقول ونسيان المنعم الحقيقي، ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾، وكم كان المال والجاه والولد سببا لإخراج أناس عن طورهم الأول وتنكرهم لما آمنوا به من مثل ولما ضحوا في سبيله من غايات، وبهذا تكون النعم التي على رأسها

المال والولد امتحانات قاسية لا ينجح فيها إلا من أوتي قوة إيمانية هائلة وتوفيقا الهيا راشدا وكان على جانب كبير من اليقظة الدائمة والحذر المستمر.

وها هو كتاب الحياة بين أيدينا نقلب صحائفه كل يوم وإذا ما أردنا أن نحصى قائمات المنخذلين أمام امتحان الشدائد فسوف نجدهم أقل بكثير من أولئك المنهزمين الراسبين في امتحانات النعيم. وتلك سنة الله في العباد ولن تجد لسنة الله تبديلا. فلقد قال وهو العليم بعباده الخبير بتقلبات قلوبهم ﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا**﴾ .

و ما دامت هذه النعم التي يتقلب فيها العباد قد تنقلب نقما فما أحرى المؤمنين بأن يكون تعلقهم بها تعلق اقتصاد وتفويض إذ بذلك يندرجون تحت رحمته ولطفه وحفظه ويشملهم قوله ﴿**وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ وليس ذلك الأجر العظيم مما يدخر لليوم الآخر فقط فالله تعالى غنى وكريم يعطي في هذه وفي تلك فها هو ذا يقول ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**﴾ ثم يقول جل من قائل: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾.

و كم يبدو تناسق الآيات جميلا عندما تأخذ بأعناق بعضها مترتبة متفرعة فها نحن نرى الله تعالى بعد أن يحذرنا من فتنة المال والولد وبعد أن يعد بالأجر العظيم الذي عنده يقول مباشرة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ**﴾ أجل ما بعد الاعتصام من الفتنة والرضى بما عند الله والعمل بتعليماته إلا حصول التقوى هذه الغاية التي بها يتحقق كل خير وينتفي كل شر، فمن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجده معه في كل ملمة تلم به لله ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ وبالتقوى يفرق المتقى بين الحق والباطل ويحرز نصرا على كل خصم وخصومة، ويجد مخرجا من كل شبهة ونجاة من كل ما يخشى من أهوال الدنيا والآخرة وينال ظهورا بين الناس واشتهارا بالصيت الحسن وبعد كل هذه المغانم المغفرة والتجاوز والعفو وكل ذلك بمحض فضله وإحسانه فهو ذو الفضل العظيم.

إن هذه الآيات التي حلقنا في أجوائها المشرقة العبقة نزلت في حق الصحابي الجليل **أبي لبابه الأنصاري** دفين قابس رحمه الله ورضي عنه ونحن نعلم أن خصوص

السبب لا يبدل عموم الحكم في خاصة ما فيه عمومه في جميع المؤمنين ولنرى درجة إيمان أسلافنا الأماجد يجدر بنا أن نلم بالقصة التامة حتى نستجلى منها عميق العبر لننسج على منوال الصالحين في أمتنا ان أردنا لها ولنا العز والسؤدد والخلود. لقد حاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني فريضة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم باريحا بأرض الشام وأبى إلا أن ينزلوا على حكم سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه فأبوا وقالوا أرسل لنا أبا لبابة لأنه كان حليفا لهم وكانت أمواله وعياله تحت أيديهم فبعثه صلى الله عليه وسلم إليهم فقالوا له ما ترى هل نرضى بتحكيم سعد فينا فأشار إلى حلقه أنه الذبح .قال **أبو لبابه رضي الله عنه** فما تحركت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزل وشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تاب الله عليك فحل نفسك فقال لا والله لاأحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلها فجاءه فحله بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقال , إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالي فقال له : يجزيك الثلث أن تتصدق به ولقد نزل في قبول توبته قوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا**﴾ نسألك اللهم أن تملأ قلوبنا بما ملأت به قلوبهم من إيمان وإخلاص وطهر.

اتنصر إسرائيل وهي لقيطة ؟

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

اتنصر إسرائيل وهي لقيطة — على امة الإسلام او تمسي كالند
ولو لطمت خد العروبة حرة — لهان على المكروب بعض الذي يبدي
ولكن نفايات الشعوب وطغمة — عليها قضى رب البربة بالطرد
تدنس قدس الله بالعهر والخنى — وتاتي فضيع الامر تهزا بالنقد

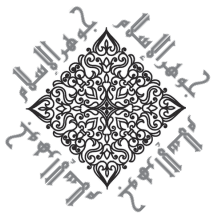

الفلسفة والأخلاق[1]

بقلم العلامة الشيخ عبدالله بن بيه

رئيس منتدى أبو ظبي للسلم

في بداية كلمتي هذه اسمحوا لي بتقديم نبذة عن منهج هذه الجامعة كما أتصوره: إنّه منهج الموائمات الحضارية والوساطات، إنه منهج الجسور الممدودة بين الحقول المعرفية والممرات الواصلة بين الفضاءات الثقافية، إنه منهج التحالف بين القيم، والتكامل بين الكليات. نعتقد أنه قد آن الأوان لنبذ المنظور الفصلي القطائعي الذي يرتكز على الخصوصيات ويهمّش ويلغي أوجه الاتصال ودوائر المشترك، ويقيم تقابلات سجالية وصراعا بين المركزيات، مآله المحتوم تفكيك الوئام وهلاك الأنام. فلا بُد من القطع المنهجي مع هذا المنظور الإقصائي، إذ هو منظور انفعالي قلق لا يمكن أن يؤسس لرؤية حضارية.

بهذه المنهجية التي تقوم على تجاوز المتقابلات ونبذ القطائع والمفاصلات، بالانتفاع بثمرات العقول ومحصولها، وإرساء التعايش بين الأفكار، حقّقت الإمارات بفضل الله ولا تزال تحقّق الاستئناف الحضاري الواعي والازدهار التنموي المثمر.

الوساطة بين الفلسفة والدين:

إن من الوساطات الضرورية التي نأمل أن تنجح فيها جامعتنا الوساطة بين الفلسفة والدين، فلقد درج الناسُ على افتراض تنافر جذري بينهما، إما على وجه التضاد،

(1) كلمة افتتاح مجلس جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية ـ أبو ظبي

أو على سبيل الاستقلال. إن الحوار بين الفلسفة والدين قد يتوتر، والخلاف بين ممثليهما قد يحتدم، كما جرى بين الغزالي وابن سينا وأبي نصر الفارابي، إلا أن ذلك لا يدفعنا إلى الاعتقاد باستحالة الحوار، بل إننا نؤمن بأن هذا الوصل ممكن وضروري، وأنّ هذه الخصومات التاريخية لا ينبغي أن تغيّب نجاحات وتحجب لقاءات سعيدة جرت على يد فقهاء فلاسفة وفلاسفة فقهاء، ومن أبرز هؤلاء رائد المصالحة ابن رشد الحفيد في كتابه "**فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال**". حيث انطلق من مجال وحدة الموضوع بين الدين والحكمة (الفلسفة) حيث ان الحكمة هي نظر في الموجودات والمصنوعات لمعرفة الصانع أو لما سوى ذلك والشريعة كذلك تأمر بالنظر في الموجودات (الآيات) : ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ والقصد التعرف على الصانع كذلك. ولذا بذل جهداً لدرء وصمة التكفير عن الفلاسفة عن طريق التأويل.

الفلسفة التساندية التكاملية:

إننا نطمح إلى فلسفة تساندية لا تعارضية. فلسفة ثلاثية الأركان يتناغم فيها الحس فيأخذ نصيبه والعقل فيوضع في نصابه والوحي فيكون مهيمناً ومرشداً للحس والعقل فيما يقفان دونه من الماورائيات والحقائق التي لا يدركها الإنسان أو التي لم يكتشف بعد أنه لا يدركها على قاعدة أن **عدم الوجدان لا يعني عدم الوجود وعدم العلم لا يعني علم العدم**. فلسفة قائمة على النسبة والتناسب حيث تسلم المقدمة الأولى للحس وتعمل العقل للتوصل للنتيجة.لماذا قلنا الحس؟ لأن هناك من ينفي الحس من فلاسفة الشك كديكارت، والعقل لأن هناك من يلغي العقل ويعتبر التجربة فقط كهيوم. ونحن نقول هذه العناصر تتناسب وتتعاون في الكشف عن الحقيقة. لقد جاء العلم الحديث لينقل الجدل المتعلق بحدوث العالم إلى مجاله، حين سلم للدين المقدمة الصغرى ليبني عليها المقدمة الكبرى "كل محدث فلا بد له من محدث"، ليكون القديم الذي لم يسبق على وجوده عدم هو واجب الوجود. وهكذا يصلح برهان السببية بين الدين والعلم، فكما يقول ديكارت "ان العدم لا يخلق وجوداً".

ولذلك يجب أن نميّز بين الفلسفة باعتبارها منهجا في التفكير يقوم على السؤال والتحليل والتّرْكيب والنّقد والاستنتاج، وبين الفلسفة كأجوبة وأطروحات ومواقف ومفاهيم تختلف من فيلسوف لآخر. إن قطار الفلسفة يتأخر عن موعده حين يكتفي

العاملون في هذا الحقل بتاريخ الفلسفة عن ممارسة التفلسف، وعن الإضافة والتجديد بالترجمة والتقليد.

لقد كانت الفلسفة أوّل أمرها تطلق على جميع فصول المعرفة الإنسانية (علم الفلك والرياضيات والفيزياء أو علوم الطبيعة)، ثم لم تزل شجرتها تشذّب، وتفقد أغصانها غصنا بعد غصن، باستقلال العلوم عنها تباعا، حتى آلت إلى جوهرها وهو السؤال والاستفهام طلبا وبحثا وتحقيقا وتدقيقا.

هي إذاً أداة ووسيلة للحكم على الأشياء ووسيلة للتعلم. بل إن أقدم الطرق الفلسفية تعتمد على السؤال والتمحيص وطرح الفرضيات واستبعادها واحدة تلو الأخرى وهو منهج استخدمه المناطقة والأصوليون في سبر وتقسيم العلل. يصف سقراط عمله بأنه إنتاج وتوليد لأفكار الآخرين عن طريق حثهم على التفكير في أمر معين من زوايا مختلفة. وكثيراً ما يبدأ محاوره وهو يتبنى موقفاً وينتهي الحوار وهو يدافع عن نقيضه فيما يسمى منهج إلينخوس أو منهج سقراط.

لكن السؤال في الفلسفة ليس للتحدي وإنما للبناء على ما استقر لدى العقلاء ولإعمال التفكير وإجالة النظر بحثاً عن الوصول بدلالة معلوم إلى مجهول. إن السؤال ليس مرادفاً للشك، بل مرادفاً للرغبة الصادقة في التعلم. وإن من أهم المبادئ الفلسفية التي يجب أن تغرس في طلابنا هو أن العالم أو الفيلسوف لا يفكر لوحده وإنما يفكر من خلال تقاليد علمية عريقة وفي حوار دائم مع من سبقوه في هذا المجال. إن الدعوات لتجاوز التراث قد تكون في حقيقتها دعوة للجهل. ولذلك نقول **إن القطيعة مع التراث خطأ، والتقوقع فيه خطيئة**.

فإذا فهمت الفلسفة فهما يتجاوز ثمراتها اللحظية، إلى جوهرها التساؤلي لم نجد فيها ما يفترض تناقضا أو تعارضا محتوما مع الدّين، بل لا يعدم المتكلم والفقيه وغيرهما من أصحاب النظر الديني فائدةً بمحاورتهم للقول الفلسفي، في توسيع مداركهم وإحكام مناهجهم وتبسيطها.

والغاية الكبرى من التعليم الفلسفي في عالمنا العربي ينبغي أن تكون إعادةَ المنطق إلى حياةِ الناس وأن نعيد برمجة العقول للتفكير الإيجابي ومركزة العقل في الخطاب الديني من خلال مفاهيم المصلحة والحكمة والعدل والرحمة.

سؤال الأخلاق في الفلسفة:

نجتمع اليوم وبالتزامن مع اليوم العالمي للفلسفة للحديث عن موضوع هام هو "الفلسفة والأخلاق". لقد نال سؤال الأخلاق مكانة كبيرة في تاريخ الفلسفة منذ بواكيرها الأولى، لأن موضوعه هو الإنسان، كيف يعيش حياة فاضلة، وكيف يتعايش مع الآخرين في سلم. إنه مجال لا ينفك يشغل الفلاسفة في كل عصر وإن كان محل سؤاله يختلف من عصر إلى آخر. فإن كانت أخلاقيات الحرب والسلم والتعايش قد نالت نصيب الأسد من الدراسات بعد الحربين العالميتين، فسؤال الأخلاق في هذا العصر يتناول مواضيع كالأخلاقيات الطبية وأخلاقيات الذكاء الصناعي وإشكال الهجرة وغيرها من الإشكالات الراهنة.

ولعلنا نبدأ بلمحة عن تعريف الأخلاق من ناحية فلسفية. الأخلاق هي تلك السجايا الكامنة في النفس، وهي أيضًا المظهر الخارجي لتلك السجايا. وقد رأى بعضهم: "أن الخلق هو صفة نفسية لا شيء خارجي، والمظهر الخارجي هو سلوك أو معاملة". والأخلاق تجاورها ثلاث كلمات: القيم – الفضيلة – المبادئ؛ إذا راجعنا ما يمكن أن يرادف هذه الكلمات في اللغات الغربية لوجدنا كلمة Valeurs باللغة الفرنسية، ومن معانيها ما يعتبر حقاً وجميلاً وخيراً طبقاً لمعايير شخصية أو اجتماعية، ويوظف كمعيار ومرجع لمبدأ خلقي. كذلك كلمة Éthiques التي تدل على ما يختص بالمبادئ الخلقية ومجموعة قواعد السلوك. وكذلك أيضا كلمة Vertu التي تدل على الفضيلة، وهي استعداد دائم لفعل الخير؛ فتدل على جزء من المعنى لأنها تدل على مكارم الأخلاق.

إن الأخلاق توفر الأمنَ النفسيّ للفرد، والأمنَ في العلاقات الاجتماعية، والأمنَ في المعاملات، والأمنَ في احترام النظام والتعليمات من خلال الصدق، والاستقامة، وحسن المعاملة، واحترام القيم، ذلك كله هو حسن الخلق: إيمان بالحق، وإحسان على الخلق.

بشكل عام يمكن رجوع الأخلاق إلى مصدرين أساسيين: المصدر الديني، والمصدر المنطقي العقلاني، وسنبدأ بهذا الأخير في هذه العجالة.

يقسم ابن مسكويه الأخلاق في كتابه "**تهذيب الأخلاق**" إلى قسمين: قسم طبيعي من أصل المزاج، وآخر مستفاد بالعادة والتدرب وهو يرد الأخلاق إلى العقل لأنه يعتبر الحس خداعاً لكنه ظل يشير إلى الفضيلة والوسطية.

وفي العصر الحديث ربما كان "كانط" أشهر العقلانيين في ميدان الأخلاق، فقد كان يعتقد أن خرق القانون الأخلاقي هو أيضًا خرق لقانون المنطق. فاللاأخلاقية تنطوي دائمًا على تناقض. وقد أصل الأخلاق بفصلها عن الدين وأسس على قاعدة الأمر الكلي القطعي. إلا أن كانت مع عقلانيته يذكرنا في مكان آخر أن هذه المبادئ الإنسانية لا يمكن مراعاتها إلا بالدين، وذلك في النص التالي: "الأخلاق إذن تقود ولا بدّ إلى الدين، الذي بواسطته ترقى إلى فكرة مُشرّع أخلاقيّ خارج الإنسان، بحيث تكمن في إرادته تلك الغاية القصوى التي يمكن ويجب في نفس الوقت أن تكون الغاية القصوى للإنسان".

إن أهم موجة فلسفية زعزعت ما استقر لدى البشرية من قيم خلقية هي فلسفة ما يسمى بـ(التنوير)، ذلك ما وصل إليه الفيلسوف الاسكتلندي ماكنتاير صاحب كتاب "بعد الفضيلة" *Après la vertu*. وخلاصة كتابه هو أن تجربة الفلسفات الأخلاقية الحديثة قد فشلت في إيجاد مقاربة عقلانية عرية عن الغائيات مجردة من الفضيلة لا مرجعية لها من تقليد أو دين. لقد أنزلت هذه الفلسفات الإنسان من مخلوق مكرم إلى كائن محبوس في كينونته، فهو مختزل عند هيوم في عاداته، وعند فرويد في سلوكياته، وفي أصله ونسبته عند داروين. إن التذمر من التحدي الأخلاقي ليس بالأمر الجديد. سأقرأ عليكم نصاً وأريدكم أن تتوقعوا قائله:

"فقد الناس فضيلة الحياء، وصار التطاول علامة على الذكاء. صاروا يهتمون بالمنافع العاجلة، انعدم احترام الكبار. لم يعد الشباب يرجعون للكبار وصار الكبار يتصرفون وكأنهم صبية. تقلصت الفروق بين الجنسين. أصبح الناس يضيقون ذرعاً بأدنى قيد على حريتهم ويتذمرون من الأحكام والشرائع."

قائل هذا النص ليس قساً أو راهباً أو واعظاً يتذمر من زمننا، بل أفلاطون وهو ينتقد الأخلاق في عصره[1]. لذا دافع في أكثر من حوار عن فكرة أن الإنسان لا يمكن أن يكون مصدراً أو معياراً للأخلاق والقيم بل لا بد من مصدر خارجي. وما أقرب هذا

(1) الجمهورية، الفقرات560 – 564 . النص من اختصار جوناثان ساكس في كتابه« الشراكة الكبرى».

من قول أبي حامد الغزالي في **التهافت**: "وعلم الأخلاق طويل والشريعة بالغت في تفصيلها ولا سبيل في تهذيب الأخلاق إلا بمراعاة قانون الشرع في العمل حتى لا يتبع الإنسان هواه فيكون قد اتخذ إلهه هواه بل يقلد الشرع فيقدم ويحجم بإشارته لا باختياره فتتهذب به أخلاقه".

المصدر الخارجي الذي يتحدث عنه أفلاطون والغزالي لا يمكن إلا أن يكون المصدر الديني وإلا فكيف نوفر خلق بر الوالدين والشفقة على الصغير وتوقير الكبير إذا لم نغرس في المجتمع: **﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾**، **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾**. إن الإلزام بهذه القيم والالتزام بها لا يحصل إلا بالإيمان بتسامي مصدرها وسمو غايتها. إن قيم العائلة والفضيلة والكرامة ضرورية حتى نحول دون التفكك العائلي والأنانية التي تقود إلى أخلاق الإنسان الأخير كما وصفه فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" وهو يقول إنه إنسان نذل لا كرامة له ولاغيرة.

حلول للمستقبل:

إن انتهاج مبدأ الموائمة وأسلوب التجسير بين الفلسفة والدين الذي تحدثنا عنه في بداية هذه الكلمة سيكون من ميادينه إعادة الاعتبار للفضيلة كقيمة فلسفية مؤسّسة، وإعادة الاعتبار للمباديء الكبرى كمبدء السببية والغائية وهي مباديء يؤدي إهمالها إلى تقويض الفلسفة نفسها أو كما يقول ابن رشد إن إلغاء السببية هو إلغاء للعقل ذاته.

إن لقاء الفلسفة مع علم الكلام كان في بواكير العصر الإسلامي. وإننا مدعوون إلى تحقيق التوازن بين جملة من التجاذبات بين الكليات،، وتجسير العلاقة بين عالمَيْ الأفكار والأشخاص، فبدلاً من واقع قيم تهاجم وقيم تقاوم، يكون التعاون والتعاضد والتآزر والتعارف هو عنوان المرحلة.

وأخيراً، فإن طموحنا أن تصبح جامعتنا في مصاف الجامعات العريقة التي تُكَوّن فقهاء فلاسفة وفلاسفة فقهاء على غرار كلية اللاهوت بجامعة كامبريدج التي تخرج لاهوتيين فلاسفة، وبذا نحقّق طموح دولتنا الساعي دوماً إلى الإبداع ولازدهار والاستقرار.

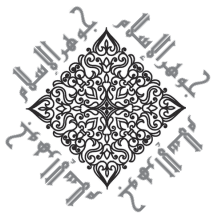

من شعراء النّبوّة: ذات العِزَّة والقوّة

بقلم الأستاذ صالح العَوْد/ فرنسا (باحث وكاتب)

حين أقامت مؤسسة الحبيب المستاوي للبحوث والدراسات في تونس، ندوة ماتِعة حوْل مائوية الإمام البُوصيري رحمه الله يوم السبت 8 مارس 2014 وكنتُ قد شاركتُ فيها بمحاضرة والحمد لله.

ولمّا أحسّ مدير ورئيس تحرير مجلّة جوهر الإسلام الغراء: الأستاذ المفكّر محمّد صلاح الدين المستاوي حفظه الله وبارك في عمره، أن شهر ربيع الأنوار عمّا قريب يحُلّ على أمّة الإسلام، استحسن أن يكون العدد الجديد هذا، حاملا في طيّاته عبَقات النبوّة الفائقة والفائحة، وأشار عليّ بأن أخطّ مقالي المعتاد في هذا الشأن، فامتثلتُ إشارتَه، وعزمتُ على تقديم أحد شعراء النبوّة إلى القرّاء الأفاضل، وهو شاعر الرسول: **حسّان بن ثابت** رضي الله عنه وأرضاه.

وقد أفْرد يحيى بن سلّام الجُمَحي في كتابه: (**طبقات فحول الشعراء**)، بابًا خاصّا بشعراء المدينة النبويّة، وعدّ منهم: (**ثلاثة**) من الخزرج، و(**اثنان**) من الأوْس.

لكنه جعل حسّان بن ثابت أشْعَرَهم، كما عدّه أشْهَرَهم. لذا، اقتضى مني المقام، أن أُعرّف بهذا الشاعر الفحْل، الذي لقيَ عناية قُصْوَى في عصر النبوّة، لم ينلها شاعر آخر غيرُه، وذلك لسببيْن في نظري:

(**أوّلهما**): كثرة ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلّم. و(**ثانيهما**): دِفاعُه المُسْتميت عن شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وصحابته، وشريعته؛ لذلك حلّاه

يحيى بن سلام بهذه الكلمات الوافية في حقّه فقال : «هو أوّل الشعراء المسلمين، وأبعدُهم أثرا، وأعظمُهم مَكَانَة».

ومن شعر حسّان الفيّاض بالحبّ الصادق للرسول الأكرم صلى الله عليه وسلّم، هذه الأبياتُ الجميلة والجليلة:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي ... وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنَّكَ قَد خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

ومِن ذلك قوله رضي الله عنه:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ الله مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ومِن ثَمّ اسْتَحَقّ، بلْ خُصَّ بقَوْل الرسول صلى الله عليه وسلّم فيه: «اُهْجُهُمْ، وَرُوحُ القُدْسِ مَعَك»، وهو يَعْني به: جبريلَ عليه السلام.

قال د. عاصم حمدان : «لقد فتح حسّان بمَدْحه للمصطفى صلى الله عليه وسلّم البابَ لِمَنْ أَتَوْا بعدَه من الشعراء، الذين وقفوا شِعْرَهم على الترنّم بحبّه، والتشوّق للديار التي تشرّفتْ بِمِوْطِئِ أقْدامِه، وضمّ ثراها جَسَدَه الطاهر».

ومِنْ شعْر حسّان رضي الله عنه مَرْثِيَتُه في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلّم، وهي قصيدة عَصْمَاء، منها هذه الأبْيات الغرّاء، التي جَرَتْ على لِسانِه:

بَطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَسولِ وَمَعهَدُ ... مُنيرٌ وَقَد تَعفو الرُسومُ وَتَهمَدِ
وَلا تَنْمَحي الآياتُ مِن دارِ حُرمَةٍ ... بِها مِنبَرُ الهادي الَذي كانَ يَصعَدُ
وَواضِحُ آثارٍ وَباقي مَعالِمٍ ... وَرَبعٌ لَهُ فيهِ مُصَلّى وَمَسجِدُ
بِها حُجُراتٌ كانَ يَنزِلُ وَسطَها ... مِنَ اللهَ نورٌ يُستَضاءُ وَيوقَدُ
مَعارِفُ لَم تُطمَس عَلى العَهدِ آيُها ... أَتاها البِلى فَالآيُ مِنها تُجَدَّدُ
عَرفتُ بِها رَسمَ الرَسولِ وَعَهدَهُ ... وَقَبراً بِها واراهُ في الترُبِ مُلحِدُ

وفي الختام، فمَنْ شاء الاستمتاع بجمال شِعْر حسّان بن ثابت: شاعر الرسول الأوْحَد ورَوْنَقِه، فَلْيَرْجِع إلى كتاب: (ديوان حسّان بن ثابت)، وهو مطبوع.

لا أمل في الخروج من أزمة عالمنا المعاصر إلا بالاستنارة بهدى الدين الإلهي كما أنزله الله هدى ورحمة للنّاس[1]

بقلم فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الأزهر

أظنكم لا تختلفون معي، في أن عالمنا اليوم، لم يكن في عصر من العصور السابقة بأحوج إلى الاستماع لصوت الأديان السماوية: صوت العقل والحكمة والتعارف، مما عليه الحال في عصرنا هذا، فهو بحق عصر الأهوال والكوارث، والعبث بالأرواح وحرمة الدماء، والسخرية فهو أحوج إلى قيم الأديان وضوابط الأخلاق والفطرة الإنسانية، التي فطر الله الناس عليها، والاستهانة بحقوق المظلومين والمستضعفين والمعذبين في الأرض.

كنا نعتقد، بل ننتظر من العقود الأولى من الألفية الثالثة أن تحمل من تحضر الإنسانية وتراحمها وتعارفها بمقدار ما حملته من تقدم مذهل وقفزات مدهشة في مجالات التقدم العلمي والصناعي والحضاري المادي، إلا أن الواقع الأليم أثبت أن هذا التقدم لم يواكبه -مع الأسف- تقدم مواز في مجال المسؤولية الأخلاقية، والإصغاء لنداء الضمير والالتزام بالفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، وتبين لذوي العقول أن العلاقة بين التقدم التقني والحضاري وبين الحروب أصبحت -ومع الأسف- علاقة تلازم واطراد، رغم ما بشرنا به فلاسفة النهضة، وأكدوا عليه من أن تقدم الإنسان في العلوم وفي الحضارة سوف يقضي على الحروب وأسبابها قضاء مبرما، وأن السلام سوف يلازم التحضر، ويسير في موكبه أنى سار: رأسا برأس، وقدما بقدم، حتى إن

(1) خطاب فضيلة الشيخ أحمد الطيب في اللقاء الدولي من أجل السلام ،برلين ألمانيا ،سبتمبر.2023

الفيلسوف الفرنسي الشهير: كوندورسيه قال فيما قال عام 1787م: «بقدر ما تتسع رقعة الحضارة على الأرض، سنشهد زوال الحرب، وكذلك زوال العبودية والبؤس».

ان هذه الأماني سرعان ما تبين أنها حلم من أحلام اليقظة، وأن صليل الأسلحة وطبول الحروب، ودماء القتلى، وأنين الضحايا، وخسارة الأموال التي تحسب بالمليارات والتريليونات -كان الحقيقة المرة والواقع الأليم الذي صحت عليه الإنسانية في الشرق وفي الغرب أيضا، وان الفيلسوف البلغاري المعاصر «تودورف تزفيتان»، والذي وافته المنية منذ خمس سنوات مضت، أصاب كبد الحقيقة وهو يقول: «إن الثقافات بكل مكوناتها التقنية والفنية تنتشر بسرعة متزايدة في أرجاء الأرض، وتعرفها شرائح كبيرة من سكان العالم، ومع ذلك؛ فإن الحروب لم تتوقف، والبؤس لم يتراجع، وحتى العبودية لم تلغ إلا من القوانين فقط، أما على مستوى الممارسة فإنها لازالت باقية».

ولدت في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام 46 من القرن الماضي، وما إن بلغت العاشرة حتى دهمت مدينتي - «مدينة الأقصر» التي تضم ثلث آثار العالم- حرب العدوان الثلاثي في عام 1956م، ودك مطارها المدني، وعرفت -مع أقراني في طفولتهم الباكرة- معنى: الرعب والخوف، وقضاء الليالي في الظلام الدامس، وفي مغارات تحت الجبال نأوي إليها مع آخر ضوء من النهار، ونخرج منها بعد الفجر، هربا من قنابل ترسل أضواءها الكاشفة، ثم تعقبها تفجيرات تنخلع لها القلوب.

و لم يمر على هذه الحرب أحد عشر عاما حتى دهمتنا في مصر حرب 67، وعشنا معها أياما أمر وأقسى من أيام حرب 56، تلتها سنوات شداد عجاف من اقتصاد الحروب، وخسائر الأرواح، وإن أنس فلا أنسى قنبلة ألقيت على مدرسة ابتدائية مكتظة بالأطفال والمدرسين والعاملين، وأحالتهم -في لحظات- إلى أكوام من الأشلاء المختلطة بتراب الأنقاض، ثم دخلنا حرب تحرير سيناء عام 73، تلكم التي عرفنا معها معنى العزة والكرامة والصمود.

كنا نظن -آنذاك- أن عهد الحروب في منطقتنا قد ولى إلى غير رجعة، وأن حياة حافلة بالأمن والسلام والرخاء، بدأت تشرق علينا من جديد، وأن مؤسسات دولية عظمى تتعهد بحمايتنا من فوضى الحروب، ومن القرارات الطائشة، ومن تجارة السلاح، ووفرة الإنتاج الحربي، وأولوية كل ذلك وتقديمه على حياة الإنسان، وحقوقه ومصالحه غير أن الرياح لم تأت بما تشتهي السفن، كما يقول الشاعر العربي،

فقد سارت الأمور -بترتيب غامض مشبوه- في مسار الإرهاب الذي حصد أرواح الناس باسم الإسلام، وعاث في منطقتنا من أقصاها إلى أقصاها، ولم تكد تكسر شوكته حتى أسلمنا إلى سلسلة جديدة من الحروب لا تزال آثارها المدمرة تتوالد وتتكاثر مع كل مطلع شمس.

ان سلسة الحروب الجديدة بدأت بحرب الخليج ثم تطورت إلى غزو العراق، وتدمير كثير من مؤسساته الحضارية والعسكرية والاقتصادية، ثم امتدت إلى سوريا ولبنان شمالا، ثم اتجهت جنوبا إلى اليمن، ثم ولت وجهها القبيح غربا نحو ليبيا، وبعد أن طال مقامها بعالمنا العربي امتدت إلى السهل الإفريقي، ثم عبرت المتوسط، وقسمت عالم الشمال، بل العالم كله، إلى ما يشبه معسكرين يقتتلان، وآفة هذه الحرب الأخيرة أن تأثيرها الخانق عم العالم كله، وأننا وإن كنا نعرف بدايتها، إلا أننا -باليقين- لا نعلم متى تكون نهايتها، ولا على أي وضع ستكون.

لست من المتشائمين ولا من المتطيرين، ولكن أصارحكم القول -ومن وجهة نظري، وفيما أرى- أنه لا أمل في الخروج من أزمة عالمنا المعاصر إلا بالاستنارة بهدي الدين الإلهي كما أنزله الله، هدى ورحمة للناس، لا كما يتاجر به بعض أبنائه في سوق السياسات وبورصة الانتخابات، ومن أجل ذلك شددت الرحال إلى الصديق العزيز البابا فرنسيس -بابا الفاتيكان-، وتواصلت معه فترة طويلة، توجت بإعلان **وثيقة الأخوة الإنسانية**، التي وقعناها في أبو ظبي عام 2019م، وهي وثيقة تنطلق -أصولا وفروعا- من القيم الإنسانية، ومن مقاصد الأديان.

ان قراءة كل العقلاء والحكماء لواقع عالمنا المعاصر قراءة أمينة تؤكد أن منطق «القوة» و«الظلم» أصبح هو الأساس الحاكم للعلاقات بين الدول، بديلا عن منطق التراحم والتعاون والعدالة، ويكفي أن نعلم أن ما نسبته 1 ٪ من سكان العالم يمثل الفئة الأغنى التي تتمتع بثروات الآخرين، وهنا أتذكر الحكمة الإسلامية التي تقول: «**إن الله تعالى فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني**»، وكذلك أكدت لنا قراءة الواقع حقيقة بالغة المرارة هي: التدخل الأجنبي في شؤون بعض الدول -وبخاصة الدول العربية- لتحويلها إلى سوق رائجة لتجارة الأسلحة، وما يلزم هذه التجارة من إثارة الفتن، وبعث النعرات العرقية والنزاعات الدينية والطائفية، وإيقاظها من مراقدها، كما أكدت جشع الأغنياء والقادرين والمترفين ممن يفسدون في الأرض ويدمرون البيئة، ويحملون الدول الفقيرة تبعات جرائمهم.

ان ادعاءات بعض دول الغرب في اتخاذها من الحرية ستارا تخفي وراءه كرهها وبغضها للأديان، وان الحوادث الأخيرة قد أكدت للجميع -ومع بالغ الأسف- حالة غير مسبوقة من كراهية الأديان، والاعتداء على رموزها ومقدساتها، وغني عن البيان حوادث حرق المصحف الشريف في بعض دول الغرب، والتي كنا -في الشرق- نعدها عملا فرديا طائشا يعبر عن مزاج شخصي منحرف أو مرض عصبي، لولا ما تطالعنا به الأنباء، من دعم بعض الحكومات لهذا الاجتراء المستفز لملياري إنسان يقدسون هذا الكتاب الكريم، وذلك تحت ستار: «حرية التعبير»، وهو استخفاف ساذج بالعقول وبدائه الأذهان، وما تعارفت عليه الإنسانية من التفرقة الحاسمة بين حرية التعبير وحرية الفوضى في الاعتداء على الآخرين وعلى مقدساتهم.

ان المسلمين- وفي مقدمتهم الأزهر الشريف- رفضوا جريمة حرق الكنائس وهدمها في باكستان، وأعلن الأزهر في بيانه أن جريمة حرق الكنائس تعادل جريمة حرق المصاحف في الإثم والعدوان، وهذا هو موقف المسلمين، الثابت، والمنطلق من القرآن الكريم الذي يسوي في الاحترام بين نبي الإسلام ومن سبقه من الأنبياء، وبين القرآن والكتب السماوية السابقة عليه، والتي وصفها القرآن بأنها هدى ونور للناس، ويحمي الكنائس والمعابد كما يحمي المساجد.

أذكر، ثلاثة أمور: الأول: أن الظلم الذي لحق المرأة المسلمة في دولة إسلامية عريقة هي دولة أفغانستان، وصادر عليها حقها في التعلم والتعليم، وحقها في خدمة مجتمعها وممارسة الوظائف المناسبة لطبيعتها، وكل هذه حقوق أقرها الإسلام للمرأة ودعاها إليها منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة عام من الزمان. والأمر الثاني: هو الظلم الذي يلحق نظام الأسرة الذي استقرت عليه البشرية منذ أبيها آدم -عليه السلام- ويشوه فطرتها، ويعبث بمصائر أطفالها وحقوقهم وكلها توجهات ترفضها الأديان، وتحذر من خطرها، وأنها إن تركت تتدرج في هذا المسار الخاطئ؛ فإنها ستبيد -لا محالة- هذا الجنس البشري. والثالث: وهو خاتمة المآسي والآلام: هو هذا الظلم البالغ الذي طال عليه الأمد، وأعني به: حرمان الشعب الفلسطيني من حقوقه وعيشه على أرضه، وصمت العالم المتحضر عن هذه المأساة الإنسانية التي طال عليها الأمد.

إن اللقاء الدولي من أجل السلام إذا كنتم تتفقون معي -أيها السيدات والسادة- في الحقيقة التي تقول: إن العالم كله أصبح اليوم وكأنه قرية واحدة، فهل نتفق على القول بأن سلام العالم مرتبط أشد الارتباط بسلام الشعوب ؟ ان المنطق الذي يقرر أنه لا يسلم الكل إلا إذا سلم الجزء، يقرر بنفس الدرجة أنه لا سلام في أوروبا بدون سلام الشرق الأوسط، وبخاصة: سلام فلسطين، ولا سلام في آسيا بدون سلام أفريقيا، ولا سلام في أمريكا الشمالية بدون سلام أمريكا الجنوبية.

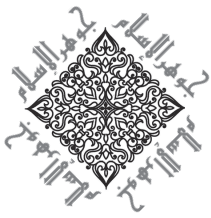

بيان الأزهر في شأن أحداث غزة

تحية طيبة من عند الله مباركة للمقاومة الفلسطينية، وأهل غزة الأبرياء رمز العزة والصمود، وأطفالها ونسائها الصابرات، تحية طيبة لكم وأنتم تواجهون بأجسادكم الناحلة وصدوركم العارية هذه النيران، يرسلها عليكم جيش إرهابي انتزع الله الرحمة من قلبه، وتجرد من كل معاني الأخلاق والإنسانية، واستباح شتى الجرائم الوحشية؛ من قصف للمستشفيات، وتدمير المساجد والكنائس، وقتل الأطفال والنساء ومراسلي الصحف والمواطنين الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة.

تحية لكم أيها الأبطال وأنتم تواجهون بإيمانكم البوارج وحاملات الطائرات وقاذفات الصواريخ وتتصدون لها من منصة الإيمان بالله غير خائفين ولا متذللين.

أيها الأبطال: استمدوا قوتكم من قرآنكم الكريم، واستعينوا بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

هذا، ويسجل الأزهر وبكل اعتزاز وتقدير بالغ الموقف الرجولي الشجاع والشهم الذي وقفه السيد أنطونيو جوتيريش، الأمين العام للأمم المتحدة، وهو يدعو، غير خائف ولا مجامل، إلى ضرورة وقف العدوان على الضعفاء والمستضعفين في غزة، تحية لك أيها الرجل الشجاع وأنت تصدع بكلمة الحق والعدل.

ويشجِّع الأزهر موقف كل أحرار العالم الذين لم يلتزموا الصمت، وخرجوا لإدانة هذه المجازر الوحشية التي تُرتكب في غزة، وطالبوا بوقف العدوان الصهيوني ووضعِ حَدٍّ لقتل الأطفال والأبرياء.

ويُهيب الأزهر بحكومات الدول العربية والإسلامية بأن يسارعوا لمد يد العون لإخوانهم في فلسطين، وأن يُسخِّروا إمكاناتهم وثرواتهم ومصادر قوتهم لنصرتهم ودعمهم وكف بطش هذا الكيان المغتصب عنهم.

الإســـــلام والعنـــــف
(الجزء الأوّل)

بقلم الأستاذ كمال ساسي

العنف ظاهرة اجتماعية أخذت تتفشى في كل المجتمعات على اختلاف مشاربها، وقد درس علماء الاجتماع أسبابه ومعطياته، وحاولوا إلقاء الاضواء الكاشفة عليه حتى لا يصبح لعنة تصيب المجتمع البشري وقد ساهم الإسلام، في القضاء على هذه الظاهرة الإجرامية، فحرض على نبذ العنف بأشكاله المتنوعة وحث على عدم ارتكاب العدوان مهما تكن دواعيه وأسبابه يقول الله عزّ وجلّ ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾.

وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في التسامح فعامل خصومه وأسرى الحرب معاملة إنسانية وقال لأصحابه (**استوصوا بالأسرى خيرا**) فرأى أبو بكر أن تقبل فديتهم لما بين الغالبين والمغلوبين من أواصر القربى. وتم فداء الأسرى بالمال أو بتعليم الصبيان، ومن لم يكن له مال تكرم الرسول عليه الصلاة والسلام بإطلاق سراحه. (وقد مازج المسلمون أمما مختلفة الأديان دخلوا تحت سلطانهم من نصارى العرب،ومجوس الفرس ويعاقبه القبط، وصابئة العراق، ويهود أريحا فكانوا مع الجميع على احسن ما يعامل به العشير عشيره، فتعلموا منهم وعلموهم، وترجموا كتب علومهم، وجعلوا لهم الحرية في إقامة رسومهم واستبقوا لهم عوائدهم المتولدة من أديانهم) والمجتمع التونسي والحمد لله أصيل في عقيدته، وهو يحاول التمسك بالأصالة العربية الإسلامية ويقاوم ظاهرة العنف، وبوادر الانحراف، والتفسخ الأخلاقي، بما نشأ عليه من تربية سمحة شعارها المحبة والوئام، ونبذ العداوة والخصام

لقد قامت الدعوة الإسلامية على دعامتين أساسيتين:

1 –تصحيح العقيدة

2 –الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان منهاج هذه الدعوة الإنسانية النبيلة التزام الحكمة الرصينة والتوجيه الاقوم والجدل المنطقي والكلمة الهادئة المتأنية الرشيدة.

مفهوم العنف

قد يتعرض الإنسان إلى القهر والتسلط فلا يتمكن من حل مأزقه الوجودي بشكل ملائم يرد إليه توازنه النفسي فيتراكم التوتر النفسي ويتفاقم الحقد الداخلي الذي يهدد بالانفجار أو الاندثار، وللقضاء على هذا الغليان الداخلي وتصريف ذاك الحقد الباطني يلجأ الإنسان إلى العنف والقتال. يبقى العنف الوسيلة الاخيرة في يد الإنسان للافلات من مأزقه ومن خطر الاندثار الداخلي الذي يتضمنه هذا المأزق والعنف هو السلاح الاخير لإعادة شيء من الاعتبار المفقود إلى الذات من خلال التصدي مباشرة أو مداراة للعوامل التي يعتبرها مسؤولة عن ذلك التبخيس الوجودي الذي حل به، والعنف هو لغة التخاطب الاخير مع الواقع ومع الآخرين حين يحس المرء بالعجز عن ايصال صوته بوسائل الحوار العادي وحين تترسخ لديه القناعة بالفشل في اقناعهم بالاعتراف بكيانه وقيمته، والعنف هو الوسيلة الاكثر شيوعا لتجنب العدوانية التي تدين الذات الفاشلة بشدة من خلال توجيه هذه العداونية إلى الخارج بشكل مستمر أو دوري وكلما تجاوزت حدود الاحتمال وهكذا فالعنف يكون عشوائيا مدمرا يذهب في كل اتجاه أو يكون بناء يوظف في اغراض تغيير الواقع ولكنه موجود أبدا ولو اتخذ الف وجه ولون واتجاه ما دام هناك مأزق وجودي يمس القيمة الذاتية ووضعية مولدة للتوتر الداخلي وبدت امكانات الخلاص محدودة وافاقه مسدودة (كتاب التخلف الاجتماعي للدكتور مصطفى حجازي ص 253 معهد الانماء العربي).

مظاهر العنف

العدوانية تنخر وجود الإنسان المقهور عموما وتنخره أكثر فأكثر في العالم المتخلف وهي عبء وتهديد للتوازن النفسي ودافع للاقدام على العديد من تصرفات تدمير الذات كما انه في الوقت نفسه دفاع وانتفاضة ضد التهديدات التي تأتيه من الخارج وتتعدد اشكال العداونية ودرجات شدتها ووجهتها فالكثير منها مشترك بينه وبين الإنسان في وضعية مازقية بصرف النظر عن بنية المجتمع وبعضها خاص ومميز للإنسان المقهور تحديدا

تأخذ عدوانية الإنسان المتخلف مظهرا فاترا أو نشطا وتسمى عندها عنفا وذلك تبعا للظروف التاريخية للمجتمع من ناحية ولحالة كل فرد في لحظة ما من ناحية ثانية في الحالة الاولى تفعل العدوانية فعلها بشكل خفي مقنع بمظهر من السكون والسكينة والاستكانة الخادعة، أما في الحالة الثانية فهي تنفجر صريحة مذهلة في شدتها واجتياحها لكل الحدود والقيود مفاجئة حتى لأكثر الناس توقعا لها وقد تنجر تحديدا عند العناصر التي تتفاوت شدة ووضوحا فهي قد تأخذ طابعا رمزيا على شكل سلوك جانح أو قد تتخذ طابع التوتر الوجودي العام وتفشي العلاقات الاضطهادية كل هذه الحالات مظاهر لحقيقة واحدة كما انها درجات متتابعة على سلم العنف الذي يبدأ مقنعا فاترا (وهو العنف المقموع) وينتهي صريحا مارا بالعنف الرمزي والاضطهادي وتتداخل هذه الحالات بالطبع فالحدود بينها ليست فاصلة والمراحل ليست مستقلة وقائمة بذاتها ويغلب معظم الاحيان أن نلاحظ تواتر وتواجد عدة مظاهر في آن واحد معا تتجسد في سلوك جماعات أو أفراد يبدو انهم طبعوا على نمط محدد منها بينما الحقيقة إذا نظرنا إليها من المنظور الجماعي أن هذه الاختلافات ليست سوى انعكاسا لتيارات عامة فاعلة ومتممة لبعضها في تعارضها وتناقضها فالذي يوجه عنفه إلى ذاته على شكل استكانة ليس سوى تعبيرا عن تيار خفي في الجماعة يتممه ذاك الذي يتمرد صراحة على كل احد أو قيد أو سلطة كما أن العنف الرمزي (السلوك الجانح) ليس إلا تعبيرا انتحاريا عن ميول التمرد في الجماعة التمرد على القوانين والاعتداء عليها اعتداء على السلطة التي وضعتها وتعريض الذات لأخطار الملاحقة والعقاب والعلاقات الاضطهادية ليست سوى تعبيرا عن انتشار العدوانية المتراكمة وبروزها بشكل نشط ولكن غير مباشر قبل أن تأخذ طابعها النشط المتوجه إلى عوامل القمع في المجتمع.

أسباب العنف:

الحق ان الإنسان وحده هو الذي يملك القدرة على تحويل قوته لتكون ضد نفسه ان الجنس البشري هو وحده الذي يقدر على تدمير نفسه لا لشيء إلا لأنه فقد قدرته على تحقيق النظام الذاتي ولهذا فإن العنف صفة إنسانية خالصة ويقول احد العلماء في هذا الموضوع اننا إذا أردنا أن نستخدم كلمة العنف لكي تدل على حقيقة من الحقائق التي يمكن ملاحظتها فإن العنف ينبغي أن يؤخذ على انه ظاهرة بشرية أساسا بقدر ما تتضمنه من حرية شخص ما (سواء كانت حقيقة أم تخيلية) في أن يعتدي على حرية شخص آخر والعنف قديم قدم الوجود وهو قائم في قصص نشأة الكون وفي

الأساطير والخرافات كأمر يرتبط ببداية التاريخ وكان دائما يبرز في أفعال الابطال والمجددين وإذا كان الامر كذلك فلماذا ينظر إليه كانما هو مسألة معاصرة وكانما هو مشكلة جديدة؟ وكيف انتهى الامر كذلك بنا إلى الوقوف موقف التشبث بمشكلة العنف كأنما هي مشكلة قد نجمت بين يوم وليلة ولما كان العنف ظاهرة يحتدم حولها الجدل، اليوم فإن هيئة اليونسكو عقدت حلقة دراسية جمعتها في ملف ضم بين دفتيه أحد عشر بحثا ضافيا لنخبة ممتازة من علماء ومفكري العالم تناولوا ظاهرة العنف في كل مكان والاسباب البيولوجية والاجتماعية للعدوان ومساهمة العلوم السلوكية في دراسة العنف ودور الحكومات في بحوث أعمال العنف والمرأة والقهر الاجتماعي والاعلام الجماهيري هل هو عرض من اعراض العنف أم سبب من أسبابه والعنف والتنمية الاجتماعية والاقتصادية ومشاكل البحث العلمي عند دراسة العنف من وجهة نظر الجريمة والعنف الصامت، وممارسة الاتفاق الجماعي في المنظمات الدولية وديناميكيات سباق التسلح والابحاث العسكرية ونزع السلاح وهذا الذي نطلق عليه اليوم اسم العنف فيما يقول دوميناك الفرنسي قد اصبح بالتدرج يفهم من ثلاث زوايا:

1) الزاوية السيكولوجية انفجار للقوة يتخذ صيغة لا تخضع للفعل وغالبا يتخذ صيغة جريمة القتل
2) الزاوية الاخلاقية عدوان على ملكية الجار وحريته
3) الزاوية السياسية استخدام القوة للاستيلاء على السلطة واستغلالها في تحقيق اهداف غير مشروعة

وهناك خمس نظريات مشهورة في اسباب العنف هي:

*) نظرية الاحباط والغضب بفعل العدوان وقد ابتدعها «جوان دولار» وعززها بالادلة المستمدة من تجاربه.
*) فكرة الحرمان النفسي التي وضعها تدروبر بنجور
*) ميدا جيفيز
*) نظرية فيرليدرز ونسفولد الاجتماعي والاحباط المنسق
*) نظرية صامويول هنتجنتون عن التحديث الذي يسبب العنف في المجتمعات الانتقالية.

إن الفرص والمجالات الجديدة في النظام السياسي تزيد من التعبئة السياسية والمشاركة السياسية وتكسب المصالح والمنازعات الاقتصادية طابعا سياسيا تنتج عنه التوترات والصراعات والعنف وتتخذ المنازعات بين الجماعات صورة صراع

بين الأجناس واللغات والطوائف والقبائل والثقافات والطبقات وتستخدم في هذه المنازعات وسائل تتزاوج بين التظاهرات السلمية وعدم التعاون والمعارك البرلمانية إلى القتال في الشوارع والطعن بالسكاكين والإضرابات، وأعمال الشغب والعنف المدني وأحيانا تحول الأحزاب الراديكالية النشيطة هذه المواقف إلى تربة طيبة للتطرف الإيديولوجي والنضالية السياسية.

إن الحركات الإقليمية والإقليمية الفرعية في أجزاء كثيرة من العالم الثالث قد أسفرت عن صراعات عنيفة هزّت الحكومات المستقرة الثابتة.

إن القصور في أداء النظام مما تدل عليه مؤشرات مثل ارتفاع الأسعار وازدياد البطالة وقصور العمالة (حتى بين المتعلمين) والأحوال الشخصية التي تسهم في انخفاض قوة شرائية هي صنيعته بالفعل والفشل في التغلب على المجاعات أو الظروف القريبة منها والتقصير في تنفيذ الإصلاحات الزراعية ومشروعات تنمية الإنتاج في الزراعة والصناعة والفشل في فض المنازعات بين العمال والإدارة بالطرق السلمية وفي المحافظة على النظام في المدارس والكليات وزيادة الانطباع بالعجز الإداري والفساد في البيروقراطية وفي صفوف الصفوة السياسية وما إلى كل هذا اصبح تربة سرعان ما تكتسب صيغة سياسية وتحول إلى ديماغوجية نضالية يعقبها صراع واسع النطاق وعنف منظم[1].

محمد داعية الحق:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الحق، ويناصر العدل وقد نهج في سبيل ذلك منهج الحجة الواضحة والحكمة في الاقناع ولم يكن يستجيب إلى ايذاء معارضيه له ولغوهم في القول واستكبارهم وعنجهيتهم في سياق الرفض اكتفاء بوضوح الحق في ذاته.

فالحق يجب أن يجعل دليله في نفسه أمام العقل الإنساني الذي لا يقع تحت ميل الهوى إلى شد العصبية الفكرية وبريق الزعامة القبلية والاقليمية وجاه الشرف في الاسرة أو في الطبقة وعامل التحيز لأي أمر وجانب ينطوي على مصلحة فردية.

وابتعد صلى الله عليه وسلم في مباشرته للدعوة إلى الحق أن يحقق عن طريقها رغبة أو مصلحة أو يتخذ منها سببا للجاه والشرف والرئاسة أو ينفع بها قريبا نسبا أو بعيدا في الحسب وعاش عليه الصلاة والسلام للدعوة إلى الحق وفي ظلها في تجرد عن الدنيا

(1) (مجلة النهضة الكويتية عدد 733 نوفمبر 1981 ص49)

وزينتها في تحقيق هدفها وفي صبر وتحمل على المكاره والشدائد المادية والمعنوية لنجاحها وجنبها الاكراه والرهبة والخوف ووفر لها المشيئة الخالصة والارادة الحرة يؤمن بها وترك للمؤمن أن يلتزم بمبادئها بعد أن اختار الايمان بها وان يراقب هو نفسه في تطبيق هذه المبادئ في حياته وحياة المؤمنين معه دون أن يلزمهم برقابة خارجية بسيطة ومركبة ومن هنا كانت جماعة تلتزم ولا تلزم وكانت دولتهم دولة اخلاق وليست دولة سوط وعصا وارهاب وكانت امتهم امة إنسانية يسود فيها اعتبار الإنسان وكرامته وحريته ويسود فيها ما صور الله به الإنسان من روحية بعد أن خلقه من المادة ليتميز بهذا الازدواج عن بقية المخلوقات ويستحق أن تكون له الخلافة في الأرض.

فالإسلام دين الله وليس دين إنسان لمصلحة له في زعامة أو رئاسة وهو الدين الذي يحتفظ للإنسان في الايمان به بالحرية والمشيئة والاعتبار الإنساني وترك له أن يكون رقيب نفسه في تطبيق ما جاء وهو الدين الذي لا يؤقت بزمان ومكان وانما يرتبط بالإنسانية اينما وجدت وكانت انه للإنسانية وليس لعنصر أو لكتلة من البشر أو قبيلة أو اسرة انه لعالم الإنسان ومن أجل ذلك يستهدف الوحدة في العالم الإنساني كله ان الدعوة إلى الحق وهي دعوة الإسلام تعني السلام لفظا ومعنى تعنيه ايمانا واعتقادا تعنيه سلوكا وتهذيبا تعني البعد عن الاضرار والايذاء تعني تجنب القرصنة والارهاب تعني إنسانية الإنسان والبعد عن الحيوانية.[1]

منهج الدعوة الإسلامية

الاخلاص في الدعوة:

يقول الله تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ (الشعراء 215-217)

يوصي الله تعالى رسوله بعدم الاستعلاء والترفع على من يشاركونه في الايمان بدعوته والتجرد عن الغلّ والحقد تجاه من لا يؤمن بهذه الدعوة بعد عرضها عليه وتركه وشأنه وليس على الداعي عندئذ أي عندما يرفض فريق ممن توجه إليهم الدعوة موضوعها ومضمونها إلا أن يعلن تردده وعدم رضاه فحسب على ما يكون من عنادهم ومعارضتهم دون أن يستتبع ذلك بحقد يضمر أو تربص بهم يحققه ولو بعد حين ويكفيه عندئذ أن يتوكل على الله الذي هو عزيز لا ينال وفي الوقت نفسه هو رحيم بمن يؤمن به وبكتابه، فالتوكل على من له العزّة ومن هو صاحب الرحمة كفيل

(1) (كتاب السبيل إلى دعوة الحق القائم بأمرها للدكتور محمد البهي ص87)

من غير شك بالمساندة التي يحتاج إليها الداعي إلى الحقّ وفي الوقت نفسه لا يكون هناك سبب لحقد على من يعارض ويكفر بالدعوة لأن الحاجة لا تمتد إليه لا لايمانه ان أمن ولا إلى معارضته أن عارض (المرجع السابق ص17 و18)

عرض الدعوة:

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (النمل 91 – 92)

مضمون الدعوة الإسلامية هو الدعوة إلى الله له كل شيء في الوجود كما يتأكد أن من يؤمن بذلك يكون في عداد المسلمين فالإسلام اذن ليس هو دين الرسول عليه الصلاة والسلام وحده وإنما هو اطلاق اقسم به لتأكيد انه رسالة الله وتذكر الآية الثانية أن على الرسول فقط أن يتلو القرآن وآياته على الناس فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فلا شأن للرسول به ولكن موقفه عندئذ لا يعدو أن يكون موقف الناصح وموقف المنذر من تبعات الضلال والانحراف وهكذا لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك شأن كل داع إلى القيم العليا والمثل الإنسانية من واجب يؤديه ازاء رسالة الله إلا أن يذكر بما جاء في هذه الرسالة دون أن يكره أو يلزم أحدا بها حتى دون أن يحرج أحدا في قبولها أو عدم قبولها ,

إذا كان موضوع الدعوة موضوع القيم والمستوى الإنساني الرفيع لا أن يكون هناك اكراه من إنسان لآخر على قبوله لأن الإكراه في ذاته لا يتفق مع كرامة الإنسان ولا مع حريته الفردية ولا مع استقلاله في الرأي اذ من القيم الرفيعة التي يجب أن تتحقق في حياة الإنسان عن طريق أية دعوة للاصلاح وللحق قيمة الحرية الفردية والإسلام كرسالة من الله إلى الناس جميعا حريص كل الحرص على أن يوفر الكرامة الإنسانية للفرد التي تتمثل اول ما تتمثل في الحرية الفردية. **﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾** (**سورة** الاسراء- الآيتان 105 ـ 106) ان القرآن الكريم يؤكد الاسلوب البعيد عن الاكراه والالزام أوضح تأكيد لأن الحق والصدق لازمه في انزاله إلى الرسول ﷺ وفي وحيه إليه ولازمه كذلك في موضوعه ونجد القرآن أيضا يؤكد خصيصة الأسلوب الذي تعرض به الدعوة وهو الأسلوب البعيد عن الإكراه لأنه متى كان الداعي قد حددت وظيفته في دعوته عن طريق البشارة وطريق الإنذار لمن يعارضها ويكفر بها فليس هناك ما يحمله على الإلزام والإكراه لغيره

ان نزول القرآن مفرقا ليقرأ على الناس على مهل وتأكيد إنزاله من عند الله يجعل لدى الذين يسمعون تلاوته وقتا يتدبرون فيما جاء به، وطالما ترك للإنسان وقت للتدبر والتفكر في قبول الدعوة أو رفضها فصورة الاكراه والالزام تكون بعيدة كل البعد في الحمل على قبول الدعوة وهذا ما يجعل القرآن الكريم من دعوته مصدرا لتكريم الإنسان والمحافظة على حرماته وعلى ممارسته لحريته الفردية ومن أجل ذلك كانت دعوة الإسلام دعوة للإنسان في كرامته وفي مستوى إنسانيته الرفيع.

قبول النقد من الخصوم:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأنعام68 – 69)، فالقرآن يطلب إلى الرسول ﷺ أن يتجنب مجلس أولئكم الذين ينتقدون دعوته. ويعارضون الحق الذي جاء به ولم يطلب إليه أن يقاطع مجالسهم دوما فضلا عن أن يبيح له قتالهم بل ربط تجنبه لمجلسهم بانتقالهم إلى موضوع آخر غير موضوع دعوته ولذلك لم يعتبر انه يرتكب ذنبا أو جريمة إذا لم يغادر مجلسهم وكلف فحسب بعدم القعود معهم ومغادرة مجلسهم لحظة أن يتذكر ما طلبه القرآن منه.هذا الموقف وهو عدم البقاء في مجلس الناقدين للحق وللدعوة إليه يحدده القرآن لأنه يستحيل عليه أن يحدد موقفا آخر أعنف من هذا الموقف كموقف الاضطهاد والتتبع أو موقف القتال أو التربص للناقدين لدعوة الحق لأن مثل هذا الموقف ينم عن إكراه ضمني على قبول الدعوة إذا دعا إليها الداعي وذلك أبعد ما تتضمنه دعوة الحق، والقرآن عندما يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم مغادرة مجلس الناقدين لدعوته وقت نقدهم إياها يريد منه فقط أن يعبر بهذا الموقف عن عدم رضاه ثم يترك الباب مفتوحا لعل هؤلاء الناقدين يوما ما يعودون إلى الايمان بالحق بعد أن تنكشف لهم جوانبه إلا إذا كانوا من الذين ظلموا أنفسهم برفضهم للدعوة واصرارهم على هذا الرفض لمصلحة تتحقق لهم من وراء هذا الرفض كان يكونوا من أصحاب السيادة أو الزعامة في المجتمع السابق على الدعوة على اساس من تقاليده ومن العرف السائد فيه ومع ذلك لا يباح اطلاقا لصاحب الدعوة مع علمه بظلمهم لأنفسهم باصرارهم على معارضتهم دعوته.أن يشتد معهم في الخصومة وان يقاتلهم بسبب الدعوة. ان القتال لم يشرع اطلاقا من اجل الدعوة وإنما كانت مشروعيته لردّ الاعتداء على المسلمين في حياتهم وفي جماعتهم **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾** (الحج 38 – 39)

* يتبع ...

الإسلام في العصر الحديث : كيف نطبق الإسلام في هذا الزمن المتحول ؟

بقلم المفكر الهندي الأستاذ وحيد الدين خان (رحمه الله)

يدرس المتخصصون في علم الإنسان في عصرنا الحاضر الدين بصفة عامة بوصفه مظهراً اجتماعياً، وهذا غير صحيح بالنسبة للإسلام، فالإسلام ليس نتاجاً للظروف الاجتماعية، إنما هو دين إلهامي سماوي، وهو نظام ديني مقدس أبدي، ولتكوين رأي ما عن الإسلام ينبغي أولاً أن نضع خصوصيته في حسباننا .

والسؤال الذي يبرز هنا في ظل تبدل الزمن المستمر، هو

ـ كيف نطبق الإسلام في هذا الزمن المتحول؟ ـ وكيف نجعله متوافقا معه؟

والإجابة على هذا السؤال يمكن أن تكون سهلة يسيرة بدراسة القرآن الكريم والكتب المقدسة الأخرى، فالإسلام ليس مجموعة من التفصيلات غير المنحصرة كما في الأديان الأخرى، وإنما هو في معظمه مجموعة من القيم الأساسية، والصدام الواقع بسبب التغير الزمني يكون دائماً مع التفصيلات، لا مع القيم الأساسية.

على سبيل المثال يرشد الإسلام إلى التوحيد، والتوحيد حقيقة أبدية بلا شك، وبالطريقة نفسها فقد قرر الإسلام قاعدة الحدود القاطعة لبعض الجرائم الشنيعة، وهذه أيضاً حقيقة لا يؤثر فيها شيء من تغير الظروف أو تبدل الأحوال، على الأقل لم يثبت حتى الآن مثل هذا التأثير، فما زال إلى اليوم يُسلَّمُ بمبدأ العقاب الصارم من أجل القضاء على الجرائم الشنيعة واجتثاثها من جذورها.

في عصرنا الحاضر يظن بعض الناس **أن هناك حاجة إلى إصلاح الإسلام نفسه،** لكن هذا الظن مبني على سوء الفهم لا أكثر، والأمثلة التي تُقَدَّمُ في هذا الصدد لا

علاقة لها بالإسلام أصلاً، وإنما هي إضافة من عند المسلمين أنفسهم، ويبدو أن الحاجة إلى تطهير الإسلام من هذه الإضافة باتت ضرورة ملحة، **فالإسلام ليس بحاجة إلى إصلاح أو إلى إعادة النظر فيه.**

على سبيل المثال في عصرنا الحاضر طبقة من العلماء المسلمين قررت **أن دراسة العلوم الغربية أمر غير إسلامي !!** وهذا حكم خاطئ من هؤلاء العلماء، ولا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد.

والأمر نفسه ينطبق على الديمقراطية، فقد ساد النظام الملكي في بعض البلاد الإسلامية بعد العهد الأول للإسلام، ولا يزال هذا النظام السياسي قائماً في عدة دول إسلامية، ولم يكن هذا النظام في أي مرحلة من مراحله جزءاً من التعاليم الإسلامية، بل ظل يمثل التشوه السياسي الذي وقع في البلاد الإسلامية، أما النموذج الأصلي للإسلام فهو الذي جرى تطبيقه في عهد رسول الله ﷺ، وعهد صحابته الكرام ﷺ، والحقيقة التاريخية تؤكد أنه كان نظاما ديمقراطيا راقيا، سماه القرآن الكريم "الشورى"، ويصح لنا أن نقول إن الإسلام أول نظام في التاريخ قضى على الملكية، وأحل محلها نظاماً سياسياً مبنياً على الديمقراطية، وقد اعترف بهذه الحقيقة بصدر رحب المؤرخ الفرنسي هنري برين.

والحق أن الأمثلة التي تُقَدَّمُ دليلاً على الحاجة إلى إجراء إصلاحات في الإسلام لا تتعلق بإصلاح الإسلام نفسه، وإنما تتعلق بإصلاح الانحرافات التطبيقية والعملية للمسلمين، ومثل هذا الإصلاح ضروري على وجه اليقين، لكنه لا بد أن يكون بتطهير الإسلام من الآثار الخارجية والأجنبية عنه، لا بإصلاح الإسلام نفسه.

ومع ذلك فإن هناك بعض القضايا التي يمكن أن تواجه الإسلام الحقيقي بسبب التغير الزماني، وهذه القضايا هي التي نحتاج فيها إلى الاجتهاد، والمراد بالاجتهاد هنا هو إعادة تطبيق حكم الإسلام، لا إحداث تبديل أو إصلاح في أصله.

على سبيل المثال كان الاعتماد في العهد الأول للإسلام على رؤية الهلال لتحديد التواريخ وبدايات الشهور، واليوم بعد اكتشاف وسائل علمية في المشاهدات الفلكية تُحددُ بدايات الشهور عن طريق المراصد، وهذا كما ذكرنا لا يُعد إصلاحاً للإسلام أو تجديداً له، وإنما هو إعادة تطبيق أحكامه من جديد، وهكذا فإن إثبات النظرية المطالبة بإصلاح الإسلام من خلال تقديم مثل هذه الأمثلة ليس صحيحاً على الإطلاق.

وكثيراً ما يُقدم حكم الإسلام فيما يتعلق بالمرأة مثالاً في هذا الخصوص، يعني أن مكانة المرأة في الإسلام جرى تقليلها بضغط من الظروف والأحوال القديمة، واليوم في هذه الظروف والأحوال الجديدة نحتاج إلى أن نُصْلِحَ هذا الخطأ في حق الإسلام.

ولكن مثل هذا الكلام لا يعدو أن يكون سوء فهم، وقد أُلِّف كتاب ضخم في هذا الموضوع عنوانه: «**السيدة المسلمة**»، وخلاصته أن حكم الإسلام بخصوص المرأة يتعلق بضرورة عملية، وليس بالرفع من شأن جنس والتقليل من شأن جنس آخر، أما وجهة نظر السادة الراغبين في التجديد فهي أنهما متساويان تماماً، رغم أن الإسلام يرى أنهما متساويان لكنهما مختلفان.

والإسلام لا يفرق مطلقا بين الرجل والمرأة من جهة الاحترام والتقدير، أما في مسألة الحقوق فمبدأ المساواة قائم بينهما، إلا أن دائرة عمل كل منهما في الحياة العملية تختلف عن دائرة الآخر، فدائرة اختصاص المرأة هي الداخل بشكل أساسي، ودائرة اختصاص الرجل هي الخارج بشكل أساسي أيضاً.

وهذا التمييز بين الجنسين لم يكن على أساس الفاضل والمفضول، وإنما كان بناءً على الفروق البيولوجية القائمة بينهما، فالمرأة جنس رقيق بالميلاد، والرجل جنس خشن بالميلاد أيضاً، ولهذا أُسْنِدَ إلى كلٍ منهما في دائرة الحياة العملية من العمل ما يتوافق مع تركيبه الخَلقي، وهذا النوع منَ التقسيم ضرورة عملية عامة، وموجودة في كل مكان، وستظل قائمة بناءً على هذه الفروق الفطرية.

ولهذا أُسْنِدَ إلى كل منهما من العمل ما يناسب تكوينه الفطري، ولا علاقة لهذا التقسيم مطلقاً بأي رجعية فكرية، إنما هو مجرد اعتراف بالفطرة، فقد جعلت الفطرة فرقاً بين الرجل والمرأة من حيث المولد، وهذا الفرق حتميٌ إلى درجة أن المجتمعات التي لا تعترف نظرياً به تطبقه عمليا بضغط من الفطرة.

على سبيل المثال لم يُقض على هذا التقسيم كلياً في الدول الغربية، رغم الحرية الكاملة التي تتمتع بها المرأة هناك. واليوم تجد الرجل مسيطراً على كل الشُّعَبِ الخارجية الكبيرة، وإن أُتِيحَت للمرأة الفرصة في الشُّعَبِ اليسيرة نسبياً، والسبب في هذا الفرق أن المرأة بطبيعة تكوينها تستطيع العمل بأصابعها على لوحة مفاتيح الحاسوب الرقيقة، لكن لم يكن لها أن تقوم بالأعمال الثقيلة الشاقة في مصانع الحاسوب على أحسن وجه...

إن الإسلام في الأصل هو نظام الفطرة، والإسلام ليس إلا تطبيقا للمبادئ الفطرية التي تعمل بشكل أبدي في الحياة الإنسانية، وكما أن عالم الفطرة أبدي، كذلك أصول الإسلام ومبادئه أبدية أيضاً، ولا فرق بينهما باعتبار الحقيقة، والقول بإعادة النظر في الإسلام إنما هو قول خارج الموضوع، ومثله كمثل القول بإعادة النظر في قانون الفطرة...

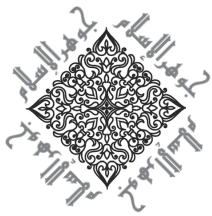

أدوات النظر الاجتهادي المنشود في ضوء الواقع المعاصر

الأداة الثانيــة: معرفـة أصـول الحـديث

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي جدة

إن أيّ نص يتكون من جانبين أساسيين، جانب ثبوته، وجانب دلالته، أما جانب ثبوته، فيتمثل في الجانب الذي يتوقف عليه صحة نسبة هذا النص إلى مصدره، وعدم صحة نسبته إليه، وأما الجانب الدلالي، فتتوقف عليه صحة نسبة المعنى الذي فهم من النص إلى مصدره، وعدم صحة نسبته إلى ذلك المصدر.

وبالنظر إلى النصّ الذي نصطلح عليه في هذه الدراسة بالنص الشرعي، والذي نراه مجالا للنظر الاجتهادي المتجدّد، فإنه إما أن يكون قرآنا أو سنة، فإن كان قرآنا فقد كفانا الله تبارك وتعالى مؤذنا بصحته، وذلك لأن الله تكفّل بحفظه في قوله ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر 15/ 9)، ولهذا، فقد هيّأ الله له من الرجال والأموال ما يحقّق ذلك الحفظ إلى يوم القيامة، ولئن وجد ثم اختلاف، فإنما ينحصر في اختلاف القراء غالبا، وحول اختلاف الفقهاء في قرآنية بعض الآيات كآية البسملة، وكلا هذين الأمرين ميسور التحقق منهما.

واما بالنسبة للنص الحديثي، فإن الأمر فيه مختلف نوعا ما، إذ أن الإجتهاد فيه يشمل الجانب الثبوتي منه، وهو الجانب الذي يعرفه علماء الجرح والتعديل بعلم الحديث رواية ودراية. فالاجتهاد فهما وتنزيلا يتشعّب إذا كان النص الشرعي حديثا، إذ يتمثل في أوّل الأمر في التثبت من صحة ثبوت النص، وشرعيته، ويتمثّل ثانيا في

التوصل إلى المعاني المرادة للشارع من النص، والعلم الذي يسهل للمرء ممارسة النظر الاجتهادي وفق الغاية المرسومة من ورائه في هذا المجال هو **معرفة علم مصطلح الحديث**، ويعدّ إحكام هذا العلم أحد ادوات النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، ويمكننا **تحديد المراد به بأنه** الإلمام بمبادئ أصول الحديث التي هي عبارة عن أسس وقواعد قبول الحديث وردّه التي وضعها جهابذة أهل العلم بالحديث، والإشراف على أسباب الجرح والتّعديل التي أقرها جمهورهم إضافة إلى إتقان مبادئ الترجيح بين مختلف الحديث.

فإتقان هذه الأصول والمبادئ من هذا العلم، له اهميته القصوى في النظر الاجتهادي، ودونه يظل فهم النص الشرعي متّسما بالخلل والنقص، لأنّ النّظر الاجتهادي ينبغي أن يتأسّس على إدراك أولي لنوعية النص، ومكانته بين الصحة والضعف، وبين الشرعية وعدمها. ولا سبيل إلى ذلك سوى إجادة مبادئ هذا العلم، والإشراف على مباحثه. ولئن كان علماء الأصول الذين كتبوا في شروط الاجتهاد قد انتهوا إلى اعتبار معرفة السنة وحفظ عددٍ من أحاديث الأحكام شرطا أساسيّا، فإنه لا بُدّ من تجاوز هذا الشرط، واستبداله باشتراط إجادة مبادئ وأصول علم الحديث التي تعين المتصدّي للنظر الاجتهاديّ على حسن التمييز بين درجات الأحاديث صحة وضُعفا، وقبولا وردّا، فإجادة المتصدّي للنظر الاجتهادي لتلك المبادئ والأصول والقواعد سبيل إلى تمكنه من الاجتهاد في الحكم على جملة حسنةٍ من الأحاديث التي سبق للأولين أو لبعضهم أن حكموا عليها بالضعف أو بالصحة أو غير ذلك، علما بأنّ تصحيح وتضعيف الأحاديث مسألة اجتهادية بحتة تخضع لما تخضع له جميع المسائل الاجتهادية من تعدّدية واختلاف وتضارب في الآراء.[1]

(1) يخيّل إلى بعض الناس أنّ الأحكام التي أصدرها بعض كبار المحدّثين إزاء بعض الأحاديث تصحيحا وتضعيفا أحكام نهائية ومطلقة وغير قابلة للمراجعة والمخالفة، فإذا اعتبر حديث ضعيفا في عصر من العصور، فإنه لا يجوز لعلماء الأعصار اللاحقين مخالفة الحكم الذي انتهى إليه الأوّلون لأنّ حكمهم حكم نهائي ومطلق. إنّ هذا الفهم لأحكام كبار المحدّثين يعوزه الدقة والدليل، وذلك لأنّ الأحكام التي صدرت عنهم لا تعدو أن تكون اجتهادية ومبنية على أسس اجتهادية معتمدة لديهم، ويعني هذا أن من خالفهم في الأسس التي بنوا عليها حكمهم، فإنه سيخالفهم في الحكم الذي انتهى إليه، ولنضرب على ذلك مثالا: من المعروف أن هنالك خلافا بين أهل العلم بالحديث حول قبول الجرح المبهم وغير المفسّر، فبعضهم يقبلون الجرح من الثقة سواء اكان مفسّرا أم مبهما، وبعضهم لا يقبلون الجرح إلا إذا كان مفسّرا، وبالتالي، فإذا ما اعتبر حديث ضعيفا بسبب جرح أحد رواته جرحا مبهما، فإن الحديث ذاته يمكن أن يكون صحيحا عند من لا يقبل الجرح إلا إذا كان مفسّرا. وبناء على ذلك، فإنه يمكن أن يكون الحديث الواحد في هذه الحالة ضعيفا عند إمام، وصحيحا عند إمام آخر. وسبب التضعيف والتصحيح اختلاف في الأسس المعتمدة للتصحيح والتضعيف. وعلى العموم،

وعليه، فإنّ تمكن المتصدّي للنظر الاجتهادي من هذه المعرفة سيفسح له المجال في إعادة النّظر المتجدّد في الأحكام الاجتهادية الصادرة إزاء بعض الأحاديث إن صحة أو ضعفا، مما سيورثه في نهاية المطاف استقلالية وعدم الاتكال المطلق على اجتهادات السابقين في هذا المجال الهامّ.[1]

ولئن تواتر النقل عن أئمة أهل العلم بالأصول اشتراطهم معرفة المجتهد أحاديث الأحكام وحفظه عددا من تلك الأحاديث، فإنه لم يعد ثمة حاجة إلى تكرار هذه الدعوة في هذا العصر، بل إن واقعنا المعاصر لم يعُد بحاجة على الإطلاق إلى شرط كهذا، إذ أنّه من الأمر المتيسّر في هذا العصر استيعاب تلك الأحاديث التي ذكرها في فترة وجيزة جدّا. فالجهود الجبّارة التي بذلها عدد كبير من علماء هذا العصر في فهرسة الأحاديث، وتبويبها تبويبا منوّعا، تكاد تلك الجهود أن تصيّر اشتراط معرفة أحاديث الأحكام شرطا إضافيا سهل المنال والاستيعاب، وأضف إلى ذلك أنّ ظهور الحاسوب الآليّ جعل من المسألة أكثر سهولة ويُسرا، إذْ من الممكن معرفة درجة الحديث إن صحة وقبولا خلال دقائق معدودة جدّا.

ولذلك، فإنّنا نرى أنّ المعرفة التي نرومها من هذا العلم، هي التي تؤهّل صاحبها لإعادة النظر في جملة من الأحكام الاجتهادية الصادرة تجاه بعض الأحاديث النبويّة الشريفة. هذا من جانب، ومن جانب آخر، ينبغي ألا تنحصر هذه المعرفة في هذه الدائرة، وإنّما لا بُدّ لها من أن تشتمل على إدراك حسن لمرامي ومقاصد تلك الأحاديث وعلى تمكن غير مغشوش من الأبعاد الزمنية والمكانيّة التي تكتنف ورود كثير من الأحاديث النبوية الشريفة. وعلى العموم، فإن إجادة وإتقان المعرفة الحديثية رواية ودراية أمر لا مناص للمتطلع إلى نيل رتبة الاجتهاد من التمكن منها، وذلك

فإننا نرى أن ثمّة حاجة إلى تسليط الضوء على هذا الجانب في علم الحديث، وذلك سعيا إلى التخفيف من التوسع في الحكم على جملة حسنة من الأحاديث بالضعف كما هو شائع في هذه الايام لاعتبارات اجتهادية محضة، كان ينبغي أن يكون الحال فيها كما الحال في المسائل الاجتهادية التي تعرف عند أهل العلم بالأصول، بأنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

(1) يؤكد الإمام الصنعاني في كتابه القيم إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد على أنّ «..لا محيص عن القول بانّ تصحيح الأئمة الاولين اجتهاد، فإنه إنما بنوه على ما بلغ إليهم من احوال الرواة، ففرّعوا عليه التصحيح، وجعلوه عبارة عن ثقة الرواة وضبطهم، وكذلك لا محيص عن القول بأنّ ما صححوه من بعدهم إلى يومنا هذا، أو ضعّفوه، أو حسّنوه، حُكمه حكم ما قاله الأوّلون من الأئمة...» انظر: الصنعاني، محمد بن اسماعيل: إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد تخريج وتعليق صلاح الدين مقبول (الكويت، الدار السلفيّة، طبعة أولى 1975م) 86

بوصفها المعرفة المعينة على التوصل إلى تبنّي أو رفض حكم اجتهادي صادر إزاء الأحاديث التي هي موضع الدراسة والتحقيق والتدقيق.

فإذا ما أحكم المرء مباحث جرح الرواة وتعديلهم وأسباب كل من الجرح والتعديل، وأشرف على مباحث العلل القادحة في الروايات، وتمكن من مناهج نقد متون الأحاديث وأسانيدها، فإنّه يغدو قادرا على تحديد ما يستحقّ من النصوص الحديثية، الدراسة والتحليل والتدقيق والاعتماد وما لا يستحقّ من تلك النصوص مطلقا، مما سيجنّبه الوقوع في متاهات الاستدلال بأحاديث لا زمام لها ولا خطام، والاكتفاء المطلق غير مؤصّلٍ ولا مؤسس بالأحكام الاجتهادية التي تبناها بعض العلماء السابقين إزاء تلك الأحاديث إن تصحيحا أو تضعيفا.

ومهما يكن من شيء، فإنه من نافلة القول التّأكيد على إشادة علماء كثيرين بأهمية هذه المعرفة الحديثية بالنسبة للمتصدّي للنظر الاجتهادي، وفي هذا يقول الإمام الغزالي بعد ايراده أهمّ شروط الاجتهاد: «..فهذه هي العلوم الثمانية التي يستفاد بها منصب الاجتهاد، ومعظم ذلك يشتمل عليه ثلاثة فنون: علم الحديث، وعلم اللغة، وعلم أصول الفقه..»[1]

ولئن كان لهذا العلم كل هذه الأهمية بالنسبة للنظر الاجتهادي المتجدّد في نصوص الوحي كتابا وسنّة، فللمرء أن يتساءل عن القدر المطلوب إتقانه من هذا العلم، وبتعبير أدق هل يجب أن يبلغ في هذا العلم مبلغ رجاله العظام أمثال الأئمة: يحيى بن معين، واحمد بن حنبل، وسفيان الثوري، وابن عيينة، والبخاري، وأصحاب السنن الأربعة، وغيرهم من صيارفة الحديث الفطاحل، أم لا يجب تحصيل مستوى أولئك، وإنما يكفيه قفو أثرهم، وإدراك بصيص مما أدركوه من هذا العلم الذي لا يستغني عنه متطلع إلى نيل درجة النظر الاجتهادي؟

وللإجابة عن ذلك، نكرّر ما أسلفناه آنفا من أنّ ضبط القدر المتعيّن في العلوم المؤهلة للنظر الاجتهادي يكاد أن يكون كذلك أمرا متعذّرا في واقع الأمر، وإنما هنالك تقريب لذلك القدر، ومحاولة ضبط له، وبالنسبة لعلم الحديث، فإننا نرى أنّ القدر الذي يكسب المرء القدرة على التمييز بين صحيح الحديث وحسنه وضعيفه، بحيث يعرف حال رجال الاسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث صحة، وحسنا، وضعفا، أو وضعا. وقد أشار إلى هذا الإمام الشوكاني:

(1) انظر المستصفى مرجع سابق 2/ 353 باختصار

«..أن يكون ممن يتمكن من استخراجها- يقصد السنة- من مواضعها، بالبحث عنها عند الحاجة إلى ذلك، وان يكون ممن له تمييز بين الصحيح منها، والحسن، والضعيف، بحيث يعرف حال رجال الإسناد معرفة يتمكن بها من الحكم على الحديث باحد الأوصاف المذكورة، وليس من شرط ذلك أن يكون حافظا لحال الرجال عن ظهر قلب، بل المعتبر أن يتمكن بالبحث في كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال، مع كونه ممن له معرفة تامة بما يوجب الجرح، وما لا يوجبه من الأسباب، وما هو مقبول منها، وما هو مردود، وما هو قادح من العلل، وما هو غير قادح..»[1] وقد حاول الشيخ القرضاوي أن يزيد هذا القدر توضيحا وبيانا، فقال ما نصّه: **«العلم بالسنة يعني فيما يعني عدة أمور: أولا: علم دراية الحديث .. أي لا بد للمجتهد من العلم بأصول الحديث، وعلومه، والاطلاع على علم الرجال، وشروط القبول، وأسباب الردّ للحديث، ومراتب الجرح والتعديل، وغيرهما مما يتضمّنه علم المصطلح، ثم تطبيق ذلك على ما يستدلّ به من الحديث...**

ثانيا: معرفة الناسخ والمنسوخ من الحديث حتى لا يحكم بحديث قد ثبت نسخه، وبطل العمل به، كالأحاديث التي رويت في جواز (نكاح المتعة) فقد ثبت نسخها بأحاديث أخرى... ومن مثل معرفة الناسخ والمنسوخ معرفة مختلف الحديث، أي: الأحاديث المتعارضة الظواهر. وكيف يؤولها، ويوفق بينها بتقييد مطلقها، وتخصيص عامها.. إلى غير ذلك من وسائل الجمع أو الترجيح..

ثالثا: معرفة أسباب ورود الحديث.. وإذا كانت معرفة أسباب نزول القرآن لازمة لمن يريد فهم القرآن، فإن معرفة أسباب ورود الحديث ألزم لمن يريد فهم السنة، لأن القرآن بطبيعته عام لكل الأحوال، والأمكنة، والأزمنة، أما السنة، فكثيرا ما تأتي لعلاج قضايا خاصة، وأوضاع معينة يتغير الحكم بتغيرها..» [2]

إذن،خلاصة القول، لكي يتحقق للمرء القدر المذكور من هذا العلم، فإنه يقتضي منه التمكن من مبادئ الجرح، والتعديل أسبابا وموجبات، وأنواعا والتمكن من مقاييس نقد الأسانيد والمتون التي تكاتف المحدثون والأصوليون على وضعها، وتأصيل القول فيها

(1) انظر إرشاد الفحول مرجع سابق 2/ 300 والجدير ذكره أن ما استهلّ به الشوكاني كلامه من ضرورة التمكن من استخراج الأحاديث من مواضعها، نرى أنّ تحقيق هذا الأمر لم يعد أمرا عسيرا، إذ أن كتب الأطراف قديما، والكتب المحققة حديثا، وبرامج الحديث في الديسكات خير وسيلة لتحقيق هذا الأمر، وخير معين للمرء على الاستفادة من وقته وجهده، ولذلك، لا بدّ للمجتهد في الوقت الحاضر من أن يلم إلمامة ولو بسيطة بطرق الاستفادة من تلك الكتب، والبرامج .

(2) انظر القرضاوي يوسف: الاجتهاد في الشريعة الإسلامية 60 باختصار وتصرف

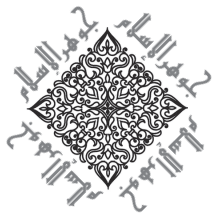

في رياض السنة

(شرح الأربعين النووية)

الحديث السادس والعشرون
شكر النعم

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

«عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة».

رواه البخاري مسلم.

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه وقد خرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما وهو حديث يبين للمسلم مدى سعة ميادين البر والطاعة في دين الإسلام بحيث يستطيع المسلم الموفق العامل بجد واجتهاد على إجتناء الخيرات أن يجعل من كل التصرفات التي يأتيها بابا من أبواب الطاعة، ومن كانت هذه حاله لا يمكن ان يكون من الغافلين الذين يمرون مرور الكرام على نعم الله وعطاءاته التي لا حصر لها ولا عد بل تكون هذه النعم مدعاة لشكر الله عليها حتى تدوم وتستمر ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ والعبد الصالح يدعو ربه بأن يُعَرِّفه نعمه بدوامها وأن لا يعرفه نعمه بزوالها.

إن نعم الله لا حصر لها ولا عد ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ الله لَا تُحْصُوهَا**﴾ وتوسيعا من الإسلام في هدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام لمجالَات وميادين الشكر يرشد

هذا الحديث الشريف المسلم إلى ان كل عضو مهما كان صغيرا وغير مهم كما يبدو لنا في بعض الأحيان هو نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى يجب شكر الله عليها وأداء صدقتها.

يبدأ الحديث بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**كل سلامي من الناس عليه صدقة**» والسلامي اسم لأصغر عظم في الإنسان والصدقة هي بذل للمعروف والمسارعة إلى فعل الخيرات شكرا لله سبحانه وتعالى على ما أنعم به وتكرم، فالكل من عند الله ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾ ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ**﴾ومادام الله سبحانه وتعالى هو واهب النعم وهو القادر وحَده سبحانه وتعالى علىَ جعلها تدوم فلا بد من طاعته سبحانه وتعالى والامتثال لأوامره. وقد اقتضت ارادته جل وعلا بأن يجعل في ما انعم به على عباده نصيبا يعود به على من هم في حاجة إليه من عباده الضعفاء المصابين المكروبين إذ الكل عباد الله، أما الله سبحانه وتعالى فهو الغني الذي لا يحتاج ولا يتصور ذلك بالنسبة للذات الإلهية.

وأول ما تنصرف إليه كلمة الصدقة هو الجانب المالي مما أفاض الله به على عباده وذلك ولا شك هو ما تعنيه كلمة «الصدقة» بدرجة أولى، والصدقة تكون بالقليل وتكون بالكثير وكمها متروك للطاقة والهمة إذ ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ يقول عليه الصلاة والسلام (**اتقوا النار ولو بشق تمرة**) والصدقة تحصين للمال من كل تلف فقد ورد في الحديث «**حصنوا أموالكم بالصدقة**» والصدقة تنمي المال وتجعله يزداد ويكثر فقد أوكل الله سبحانه وتعالى إلى ملك بأن ينادي «**اللهم أعط منفقا خلفا**» والصدقة تقي مصارع السوء وما أكثر مصارع السوء في هذه الحياة وما أكثر الماكرين والكائدين والحاسدين وما أكثر ما نراه وما لا نراه مما يدبر من السوء والشر والسبيل إلى التحصن من الشر والأشرار هو بالاحتماء بالله والاعتماد عليه وذلك بطاعته والامتثال لأوامره والمسارعة إلى إتيان ما أمر به ومما أمر الله به وألح عليه وندب عباده إلى القيام به الصدقة بالقليل وبالكثير فمن استجاب وأطاع يحفظه الله ويرعاه ويعصمه ويحول بينه وبين كل مكروه فالصدقة من صنائع المعروف «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**» والصدقة يداوي بها المرضى فيشفون بإذن الله إذ قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمان.

فكل سلامي «عظم صغير» هو نعمة من نعم الله تجب عليه الصدقة التي هي مظهر عملي من مظاهر الشكر.

وهذه العظام الصغيرة في أجسامنا سواها الله وهي من اجل نعمه علينا وقد أورد الشبرخيتي عند شرحه لهذا الحديث بعض الآثار المتعلقة بنعم الله على عباده جديرة بالاستعراض للإستفادة منها.

* مكتوب في حكمة آل داود : العافية هي الملك الخفي أي هي النعيم المسؤول عنه يوم القيامة المعنى بقوله تعالى ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ**﴾

* وقال ابن مسعود : النعيم الأمن والصحة

* وقال ابن عباس : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار.

يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو معنى قوله تعالى ﴿**إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾.

* «**تعدل بين اثنين صدقة**» والعدل فضيلة وهو أساس العمران وهو ضد الظلم الذي حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده حراما. لقد أمر الله تبارك وتعالى في آيات عديدة بالعدل قال جل من قائل ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ**﴾ وقال ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبه إلى أهمية العدل بين الناس وإعطاء كل ذي حق حقه فقال «**يا أبا هريرة عدل ساعة خير وأفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها يا أبا هريرة جور ساعة في حكم أشد وأعظم عند الله من معاصي ستين سنة**».

فالعدل بين الاثنين بالإصلاح بينهما صدقة وفي الحديث «**ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا : بلى يا رسول الله قال : إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا**».

وقال عليه الصلاة والسلام «**أفضل الناس عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس**».

وقال «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة قالوا بلى يا رسول الله قال : إصلاح ذات البين**».

وقد ورد في الآثار المروية عن الصحابة قولهم «**من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس**» وقال انس بن مالك «**من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة**».

فكل هذه النصوص من آيات الكتاب العزيز وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وآثار السلف الصالح تبين أهمية الكلمة الطيبة التي ينطق بها المسلم فيعدل بها بين اثنين ويصلح بها ذات بينهما ويرجع بها المياه إلى مجاريها بعد أن تعكر صفو

علاقتهما إنها مظهر وعلامة بارزة وشهادة صادقة على حب الخير للناس ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه إنها مظهر من مظاهر الاهتمام بأمور المسلمين «**ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» فالصدقة إذن ليست بالمال فقط بل بالكلمة الطيبة وما اشد تأثير وقع الكلمة الطيبة في واقع الناس.

فبالكلمة الطيبة التي هي صدقة تزول الخلافات وتذهب إلى غير رجعة النزاعات ويحل الحب والود والتصافي محل البغضاء والكراهية والحقد.

* **(وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له متاعه)** وإعانة المسلم لأخيه المسلم باب عظيم من أبواب الأجر والثواب وقد وعد الله بان يكون في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وقال جل من قائل ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾ ومد يد المساعدة للمحتاج إليها مظهر من مظاهر التراحم الذي دعت إليه تعاليم الإسلام واعتبرته ميزة من مميزات المسلمين المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**).

فالراحمون يرحمهم الرحمان ورحمة من في الأرض تجلب رحمة من في السماء «الله سبحانه وتعالى». «**ومن فرّج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة**».

فإعانة الرجل على دابته وهو أمر بسيط وفي المستطاع وحمله عليها ورفع متاعه له صدقة في دين الإسلام وفي هدي سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

فما أوسعه وما أرحبه مجال فعل الخير في دين الإسلام يستطيعه الجميع إلا من يريد أن يحرم نفسه من الأجر والثواب والجزاء الإلهي.

* «**والكلمة الطيبة صدقة**» والكلمة الطيبة تعم الذكر والدعاء والعلم والنصح والإرشاد وإلقاء السلام ورده وتشميت العاطس والشفاعة وغير ذلك من الكلمات الطيبة غير المكلفة لمجهود مادي أو بدني ولكن مفعولها في تقوية لحمة التآخي والتحابب كبير جدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم**» والأحاديث كثيرة وعديدة التي تبين ما أعده الله من الأجر والثواب على كلمات طيبة ينطق بها لسان المسلم يذكر بها ربه إنها كلمات خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان لا تستغرق من وقت المسلم ولا من جهده شيئا

يذكر هي : «تهليل وتحميد وتسبيح وتكبير واستغفار» وصلاة على المصطفى المختار عليها جميعها من الله الغني الكريم جزيل الأجر والثواب.

إنها كلمات تجعل اللسان رطبا بذكر الله وهو ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم احد أصحابه الذي جاء يستنصحه.

ومن كان الغالب على حاله ذكر الله ومن كانت الكلمات الطيبة هي التي تجري على لسانه لا شك انه سعيد سبقت له من الله الحسنى مذكور عند ربه القائل في كتابه العزيز ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾.

* «**وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة**» وهذا باب آخر من أبواب الأجر والثواب وكيف لا يعتبر من الصدقة وفيه السعي لأداء أعظم ركن من أركان الإسلام، الصلاة التي هي عماد الدين والتي هي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإذا صلحت صلح سائر عمله وإذا فسدت فسد سائر عمله فمن سعى إليها ليؤديها في بيت من بيوت الله له بكل خطوة يمشيها صدقة وقد أمر الله تبارك وتعالى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام بان يبشر المشائين إلى بيوت الله في الظُّلم بالأجر العظيم وفي الحديث الشريف «**إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه أو كاتبه بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت أي القائم في الصلاة ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع**».

وأعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى وقد قال عليه الصلاة والسلام لمن أرادوا أن ينتقلوا بالسكنى إلى جوار المسجد «**دياركم تكتب آثاركم**».

* «**وتميط الأذى عن طريق المسلمين صدقة**» وما أجمله وما ابلغه من تعبير «**تميط الأذى**» وهو كل ما يؤذي المارة من حجر وشوك وحفرة وغيرها، «قال أبو ذر قلت يا نبي الله علمني شيئا انتفع به فقال : **أزل الأذى عن طريق المسلمين**» ولا شك أن هذا الصنيع يمثل مسلك المسلم الذي لا تقدم يداه إلا خيرا إذ المسلم «**من سلم الناس من لسانه ويده**» إن يد المسلم يد بناءة غير هدامة وكل ما يمكن ان يؤذي المسلمين ويتسبب لهم في ضرر إذا ما دفعه عنهم المسلم وأزاحه من طريقهم تكتب له بهذا الصنيع الحسن الصدقات والأجر والثواب العميم.

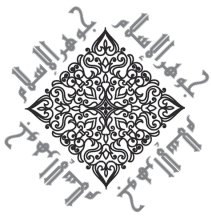

سلسلة الجدل من الافتراق للاتفاق
جدلية الدين والفلسفة
بمن منظور ابن رشد

بقلم الدكتور محمد بشاري

أمين عام المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

تقوم الحياة في معظم صورها على تناغم جدليات متنوعة، فتبدو بادئ ذي بدء في صورة مضادة، ثم تسمو بالفهم والتحليل والقراءة المتمعنة لتبدو ذات ارتباط متين، تزيد قوته كلما حاولنا تفسير كل طرف من أطراف تلك الجدلية على حدة.

ولقد لعبت جدلية الفلسفة والدين دوراً بارزاً في ساحة تصارع الأطراف، حتى انقسمت العديد من الآراء نحو التحيز لأحدهما دون الآخر، وذلك بالاعتداد بما يقوي رأيه من أدلة وبراهين. وحين وجد لكل منهما ما يفسر وجوده ويدعم موقفه وجدنا أن تلك الجدليات تسير لمنبع واحد تتلاقى على ضفافه، وهذا الحاصل في الانقسام بين مؤيد للدين، ومعارض للفلسفة أو العكس.

ولكن، هل على الإنسان بالفعل أن يختار أحدهما؟ وهل يؤذي الشريعة السبر في مكنونها، أو يفسد الفلسفة بيان حدود الإشكالات المحاطة بالضبابية؟ وأقرب ما قد يبدو أنهما عنصران لمادة واحدة؛ وكما يقول الفيلسوف والمفكر ابن رشد، فإن الحكمة والشريعة، أو الفلسفة والدين أختان ارتضعتا لباناً واحداً، وهما يتعاونان في مهمة سامية تتمثل في إسعاد البشر، وري ظمأهم الفكري والمعرفي، واحترام نزعاتهم الفلسفية.

وبالتركيز على الشريعة بذاتها، نجد أن القدرة على فهمها والتغذية الروحية من خلالها بحاجة ماسة للعملية الفكرية الفلسفية، والاستعانة بالرهان المنطقي للوصول لمعرفة واضحة للخالق سبحانه وتعالى، والاستدلال على معالم قوته وقدرته وعظمته عز وجل من خلال الموجودات المحسوسة حول الإنسان، وباستخدام القياس الفلسفي، وعدم الاقتصار على الاستنباط السطحي. ولقد قدم في هذا السياق فيلسوف الأندلس ابن رشد في (**تهافت التهافت**) العديد من القراءات العميقة الفلسفية في الدين، إذ يعتبر أن النبوة حادث طبيعي، والوحي تمثيل للعقل الفعال، أو ما يسميه رجال الشريعة «مَلَكْ»، بل أنه تطرق للمعجزة باعتبارها أمراً ممكناً متناغماً وقوانين الطبيعة، ولكنها مقتصرة على الأنبياء الذين تحتمل أنفسهم وقوع تلك المعجزة، وهذا يمتنع على الإنسان العادي، فالممتنع في العقل ممكن في حق الأنبياء!

وأما فيما يتعلق بحاجة الفلسفة للدين، فهي تنبع مما يثبت من وسع المدى الملتصق ب: «الشطحات الفلسفية»، ووسع الخيال الإنساني التواق للاكتشاف والاستزادة العلمية، وتوسيع دائرة المفهوم والمعروف، مضيفاً على الدوام لحقيبته الثقافية والمعرفية دون توقف، وهذا لا يعيب العقل الإنساني وحكمته المجتهدة، ولكن يبقى ذلك بعيداً عن دائرة المخاطر «المتعبة»، وبعيدة عن استنزاف الطاقة الإنسانية وإهدارها بلا جدوى، طالما تقيد ذلك في حدود واسعة معلومة، سيما ذات العلاقة بالمفاهيم الوجدانية العميقة.

إن «**الله لا يمكن أن يعطينا عقولاً، ويعطينا شرائع مخالفة لها**»، ففي التوسط بحال معتدل بين النحو على طريقة الدين والفلسفة، نجد أن الصورة العامة لفلسفة ابن رشد تعبر عنها في انتهاجه مقالاً مناسباً لكل مقام، سيما أنه يظهر كفيلسوف عقلاني في بعض ما يطرح، وفي موضع آخر تجده على غير ذلك، فقد كان يتمسك بالعقلانية عند حواره مع أهل الفلسفة، ويتنحى عنها إذا ما تطرق لسياقات تخص عامة الناس، فمن المعروف أنهم لا يطيقون ذلك السبر الفلسفي العقلي العميق، وبالتالي فإن التوازن في تناول الجدليات، يعبر عن الطريقة المثلى للانتقال من طور الافتراق والتحيز لطور الاتفاق والتميز في الفكر والطرح وتعميم المعارف، وكما يقول فإنه : «يظهر أن الله تبارك وتعالى قد خلق لنا قوى نقدر بها أن نكتسب أشياء هي أضداد. لكن لما كان الاكتساب لتلك الأشياء ليس يتم لنا إلا بمواتاة الأسباب التي سخرها الله لنا من خارج، وزوال العوائق عنها، كانت الأفعال المنسوبة إلينا تتم بالأمرين جميعًا».

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة مالك بن نبي رحمه الله

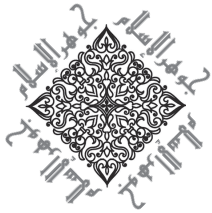

مالك بن نبي الجزائري عملاق الصحوة الإسلامية في العصر الحديث

المُتَوفَّى سنة 1393 هـ = 1973 م

بقلم الأستاذ صالح العَوْد

تزامُنًا مع الندوة السابقة، والهامّة التي أقامتها مجلة (جوهر الإسلام) الغرّاء، بحقّ العلّامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور المتوفَّى سنة (1973م)، تذكيرا واحتفاء بمرور خمسين عاما على وفاته؛ أبى – وهو المحق– مديرها الفاضل: الأستاذ المفكر محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله تعالى دوما ورعاه، إلا أن يردفها كذلك بذكرى أخرى مشابهة، تتميما للفائدة، وتعميما للتعريف والتنويه بشخصية ذات مقاس وصدى من نوع آخر، لا يمكن تجاهلها ولا تجاوزها بحال، ولا غض الطرف عن عطائها اللامحدود بلا حدود، خصوصا في زمن الإعلام الصارخ والصاخب في كل مكان، أو في سائر التكنولوجيا الحديثة والمتقدمة.

إذًا، رغبتُ بجدّ.. وحبّ.. ووفاء.. في الإسهام في هذا الحدث الهام، بمناسبة مرور (خمسين) عامًا على وفاته مِثْلًا بِمِثل، وأسوة بما حرْرتُه عن العلّامة محمد الطاهر ابن عاشور[1]؛ لكن كلٌّ في مجاله الثريّ، وأُفُقه الواسع الخاص به، وسواء الوطني والعالمي، أو العربي والغربي، أو المشرق والمغرب، من الجزائر تحديدا، إلى بلاد أندونيسيا، التي تنبّهت قبل غيرها من شعوب العالم الإسلامي، فتلقفت إنتاج كل منهما: الفكري والاجتماعي، واهتدت بذلك من خلال كتابيْهما: (**أصول النظام**

(1) إقرأ مقالي المنشور في العدد الماضي: (صلتي المستدامة بالعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور).

الاجتماعي في الإسلام / لابن عاشور)، و(**فكرة الإفريقية الآسيوية / لمالك بن نبي)**؛ إذ جاء في هذين الكتابين لمحات حضارية مهمّة؛ ومَراق توجيهية مستقبلية.

وبالتالي أقول، ومن الله تعالى الرضا والقبول: إن مرحلة حياة **الأستاذ المفكر مالك بن نبي** تمتد من تاريخ ولادته في الجزائر عام (1905م) إلى أن تنتهي بوفاته فيها عام (1973م)، وهي مدة قوامها (68) عامًا، تتوزع إلى (ثلاث) مراحل أو محطّات على النحو التالي:

1 – **الإقامة الأولى**: في الجزائر: (وطنه الأم).
2 – **الإقامة الثانية**: في فرنسا: (أرض المهجر).
3 – **الإقامة الثالثة**: في المشرق: (القاهرة وما وراءها).

ثُمّ كرّ بالعودة إلى فرنسا (مرّة أخرى)، ثم بلاده الجزائر التي غادرها في شبابه، ليستقرّ بها أخيراً في كهولته إلى أن وافاه أجله المحتوم على أرضها الأبيَّة: في يوم 31 أكتوبر 1973م. رحمه الله وأحسن مثواه.

وفي نهاية المطاف، فإن شخصية المفكّر الفذ مالك بن نبي تتمثّل قطعيا فيما رشح منه أو عنه جهاد فكر وقّاد، وقلم سيال، لم يهدأ طوال رحلته الطويلة في هذه الحياة: غربها وشرقها، حلوها ومرها، ثم صدرت في كتب بارّة وثرّة كثيرة باللّغتين: (العربية والفرنسية)، وكان بدء نشرها من الشرق وليس من الغرب؛ وهي هذه على سبيل الإجمال: (**شروط النهضة – فكرة الإفريقية الآسيوية – الظاهرة القرآنية – وجهة العالم الإسلامي – مشكلة الثقافة – ميلاد مجتمع – الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**) صادفت هذه الكتب رواجا غير عادي، لانفرادها بالسوق الإسلامية من ناحية، ولتشجيع المؤسسات الحكومية لها من ناحية أخرى، وبخاصة وزارتا الأوقاف والتعليم.

وكان الذي تولّى نقلها من أصلها الذي كتبت به وهي الفرنسية إلى العربية، حبيبُه في مدينة القاهرة الأستاذ عبد الصبور شاهين رحمه اللّه: يقول عمّا تعاون فيه معه: «إن مالكا حين لقيتُه أول عام 1957م لم يكن يعرف شيئا قليلا أو كثيرا من اللغة العربية، اللّهم إلا بضع كلمات من اللهجة الجزائرية. وقد كان يعيش منذ بداية دراسته الجامعية – في وسط فرنسي، وبلغة فرنسية ومع زوجة فرنسية، وقلم فرنسي. ولا شكّ أنّه قد شعر بأن اتّجاهه إلى التأليف والكتابة، لا قارئ له في الوسط الفرنسي، وإن كان محرّرا بالفرنسية. فشدّ رحاله إلى مصر حوالي عام 1955 م».

ثم قال ذ. عبد الصبور شاهين مُنوّهًا مرّة أخرى به: «والجدير بالذكر في هذا المقام أن بعض كتب الأستاذ مالك مثل (**مشكلة الثقافة، وميلاد مجتمع، والصراع الفكري،**

وفكرة كومنولث) وهي كتب بارزة في قائمة المؤلف – لم تر النور إلا في الترجمة العربية، أمّا الأصل الفرنسي فلم يعمل المؤلّف على نشره، لأن مضمون هذه الكتب موجّه أساسا إلى العرب والمسلمين، لا إلى الفرنسيين»[1].

أمّا عملاق الفكر الإسلامي وهو الأستاذ أنور الجندي رحمه اللّه، فقد اقترب منه لمّا نزل في القاهرة وتردّد عليه وعلى مجالسه وندواته مرارا، خلال سبع سنوات، حتى عرفه عن كثب وقرب، فقال متحدّثا عنه بلسان الواعي: «كانت مجالسه حافلة بالعلم والفكر في ضيافة زميله المهندس أحمد عبده الشرباصي العالم الفقيه؛ وقد حضرنا بعض هذه المجالس، وأُعْجِبْنا بهذه الشخصية الفذّة، القادرة على استخلاص القوانين من الظواهر الاجتماعية المختلفة « اهـ.

على أن الأستاذ أنور الجندي حين كتب عنه مقالا طويلا يُؤبّنه فيه لقرّاء مجلة الوعي الإسلامي[2] على صفحاتها، يصفه بهذه الجملة البارعة: معنًى ومبنًى، فيقول:» ومِثْل مالك بن نبي بين مفكّري العالم الإسلامي قليل، فهو الرجل الذي ورد مورد الغرب وجاءنا منه نقيًا صافيًا، وقد حفظ الله له أصالته وأفاد ممّا وجد، نصاعة فكر، وبعد نظر، وعمق فهم، وقدرة على كشف تلك التحدّيات والشبهات، والأوضاع التي عمد التغريب والغزو الثقافي على نصب شباكها لتدمير الفكر الإسلامي، وإثارة أجواء الاضطراب والتخلخل بين جوانبه، ودفعه إلى أن يقع فريسة للحلقة المقفلة الغربية التي تحاول الانقضاض عليه وتطويقه واحتواءه حتى تخرجه عن أسسه وأصالته وقاعدته القرآنية لتقذف به في تلك البوتقة الخطيرة التي تصهر الثقافات: بوتقة العالمية والأممية»[3].

ثم زاد الأستاذ أنور الجندي في مقاله المحبوك عن شخصية مالك العظيمة، وفكره الوضّاء، إيضاحا منه بهذه الكلمات الصادقة عن حقيقة واضحة فقال: «عاش مالك بن نبي حياته كلّها في مواجهة تحدي الحضارة الغربية المعاصرة وموقفها في وجه الفكر الإسلامي، وحاول أن يقدم صيغة صالحة للرّد على هذا التحدّي ومواجهته. وكان لعقليته التي شكلتها الدراسة العلمية (الهندسية) بالإضافة إلى الثقافة الفرنسية، كان لها أثرها الواضح في بناء نظريته التي ظلّ يدافع عنها ثلاثين عاما أو يزيد».

وختم مقاله الطويل في النهاية والذي كان بعنوان: (فقيد الإسلام العلّامة مالك بن نبي)، بالترحّم عليه وعلى أعماله: حبًّا وتقديرًا ووفاءً، فقال:

«رحمة الله على مالك بن نبي، كفاء، ما قدم للمسلمين والإسلام»

(1) موسوعة أعلام الفكر الإسلامي / ط. القاهرة 1435 هـ = 2014م.

(2) مجلة الوعي الإسلامي: السنة 8 / العدد 108 / ص 72.

(3) مجلة الوعي الإسلامي: السنة 8 / العدد 108 / ص 72.

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة مالك بن نبي رحمه الله

مالك بن نبي المفكر الرائد في تحليل مشكلات الحضارة والمستشرف لمستقبل الأمة

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

مرت خمسون سنة على وفاة المفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله وهي مناسبة جديرة بالوقوف عندها للتذكير والتعريف بما تميز به هذا المفكر الذي انجبته ربوع الغرب الإسلامي وبالتحديد بلاد الجزائر ففيها ولد وترعرع وتلقى تعليمه في مراحله الأولى ثم لم يلبث ان ولى وجهته صوب البلاد الفرنسية التي تدرج في معاهدها العلمية العالية وفي اختصاصاتها الدقيقة حيث تخرج مهندسا متميزا إلى جانب ما نشأ عليه وتزود به من ثقافة عربية إسلامية على أيدي الشيوخ الذين تحملوا مسؤولية تعليم أبناء الجزائر ابان الفترة الاستعمارية مبادئ العلوم الإسلامية واللغة العربية لفئات وأفراد الشعب الجزائري في تلك الفترة التي تعرض فيها لكل صنوف المسخ والتجريد من كل ما له صلة بالإسلام والعربية باعتبارهما ركيزة هذه الشخصية والتي حمتها وحفظتها من أشرس حملة استعمارية شهدها شعب من الشعوب العربية والإسلامية ولكن الشعب الجزائري صمد وظل يردد ما صاغه الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله: **شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب.**

*ان مالك بن نبي رحمه الله هو أحد أبناء هذا الشعب العريق الأصيل وهو من صفوة مفكريه وعلمائه ورجالاته لقد جمع مالك بن نبي رحمه الله بين التكوينين العلمي العصري المتين والشرعي الأصيل.

*لقد تجسدت في مالك بن نبي رحمه الله **معادلة الأصالة والمعاصرة** وكان بذلك نموذجا للمفكر المسلم المتحرر من العقد والمركبات، المتجذر في أصوله العربية الإسلامية في أبعادها المتسمة بالعمق والشمول والواقعية والسماحة والوسطية في تحرير وتنوير وفي استشراف واجتهاد مجسم لصلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

*وهو المواكب للمستجدات الآخذ بناصية العلوم الدقيقة في آخر مظاهرها.

*وهو بذلك متميز يذكر بعمالقة العلماء والمفكرين الذين كانوا نجوما في سماء الأمة العربية والإسلامية من أمثال **الغزالي وابن رشد وابن خلدون**

*عرف مالك بن نبي رحمه الله بآرائه ونظرياته المتميزة التي لم يسبق إليها والتي هي نتيجة لتكوين متين يتزاوج فيه ما ينتهي إليه العقل السليم بالنقل الصحيح في أفهامه العميقة البعيدة والمقاصدية. ولا عجب في الأمر فمالك بن نبي رحمه الله هو ابن هذه الربوع من هذا الجناح الغربي للعالمين العربي والإسلامي والتي تميزت بإضافاتها.

*لقد تميز مالك بن نبي كمفكر إسلامي في العصر الحديث بالعمق والعقلانية والنفاذ إلى أعماق القضايا الاجتماعية والفكرية والحضارية التي تواجه الأمة الإسلامية من أقصاها إلى أدناها

*وكان مالك بن نبي رحمه الله سباقا إلى لفت الانتباه إلى أهمية الثقل الحضاري لما يسمى بمحور الجنوب، المحور الأفروآسياوي الممتد من جاكرتا إلى طنجة ففي هذا الحيز الجغرافي شعوب بمئات الملايين يمثل العرب والمسلمون جزءا كبيرا منها.

*في هذا الفضاء الأفروآسياوي قوة بشرية واقتصادية ذات خصوصيات حضارية واستراتيجية وذات مستقبل واعد رغم أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية التي تبدو أدنى من مأمول شعوبها.

*لقد كان مالك بن نبي رحمه الله السباق والرائد في التبشير بالمستقبل الواعد لبلدان الجنوب.

*ومالك بن نبي هو الرائد في بحث مشكلات الحضارة وهو المفكك لها والمقدم لمعادلات رياضية حسابية لقضية الحضارة التي يعرفها ابن نبي بأنها مجموع **(إنسان وتراب ووقت)**، اذا وقع التفاعل بين هذه العوامل المكونة للحضارات نشأت الحضارة شريطة ان يحدث التفاعل المطلوب والذي لا بد منه.

*والتفاعل والفعالية والايجابية مفاهيم ينتهي إلى أهميتها مالك بن نبي باستعراض التجارب البشرية والتي لا يمكن أن يكون الإسلام في تناقض وتعارض

معها، ومستند مالك بن نبي رحمه الله نصوص قرآنية محكمة تضمنها الكتاب العزيز وعبر عنها بالتصريح أوبالإشارة يقول جل من قائل (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**)

ويضرب ابن نبي على مفهوم الفعالية والايجابية بأمثلة من الواقع المعيش والمشاهد مجريا المقارنات بين الكيفية التي يتعامل بها العرب والمسلمون (العامة والنخبة) مع بعض المشكلات مثل مشكلة الأمية التي لا يمكن القضاء عليها بالكلام والصراخ، والأمية ستظل منتشرة في حين انها ستتقلص لو بادر كل طرف قادر على محو الأمية في محيطه بفتح مستودع سيارته لمن حوله من الأميين، فليس بالتباكي يقضى على الأمية وإنما بالمبادرة الجماعية بمحاربتها وذلك هو ما لفت إليه مالك بن نبي بمقارنة بين سلبية العربي والمسلم وايجابية أقليات مثل اليهود تعرضوا إلى ظلم تسلط عليهم بمنع أبنائهم من الدراسة النظامية فبادروا إلى تعويض ما فات أبناءهم بجهودهم الفردية فتطوع كل منهم بتعليم أبناء الجالية اليهودية حتى اذا رفع عنهم الحضر وجد أبناؤهم أنفسهم في نفس مستوى زملائهم الفرنسيين.

*ومن المفاهيم والأفكار المتميزة التي اختص بها ابن نبي وكانت ابتكارا تلك النظرة العميقة لانتاج المستشرقين الغربيين فابن نبي رحمه الله يعتبر أن المستشرقين المتحاملين على الإسلام والمسلمين أقل خطورة من المستشرقين المادحين لحضارة وثقافة المسلمين فهؤلاء يجعلون المسلمين يظلون يعيشون على الماضي يتباهون به ويتغنون بمآثر أسلافهم دون أن يبادروا إلى تغيير ما بهم من أوضاع سلبية ليكونوا خير خلف لخير سلف

*ومالك بن نبي رحمه الله هو المبشر بالمستقبل الواعد للمسلمين في الثلث الأخير من القرن العشرين في المجال الاقتصادي وذلك قبل أن يتنبه غيره إلى أهمية الثقل المادي والبشري والاستراتيجي للمسلمين.

*كل هذه المفاهيم في المشكلات الحضارية والثقافية والاقتصادية للعرب والمسلمين درسها مالك بن نبي بعمق وبروح إسلامية إيجابية وبعقلانية وواقعية فكانت سبقا تفرد به عن سواه من معاصريه ممن درسوا أوضاع المسلمين والذين طغت العاطفة المبالغ فيها في الكثير من إنتاجهم الذي اكتسح الساحة ولم يغير من وضع الأمة المتردي بل لربما زاده تعقيدا.

ولو كتب لمدرسة مالك بن نبي رحمه الله أن يعم الوعي بمفاهيمها ومضامينها الفكرية والحضارية لاجتنبت الساحة العربية والإسلامية الكثير مما اعترى مسيرتها من اهتزازات ونزاعات واختلافات لم تزد أوضاعها إلا ترديا وتدهورا

في ذكرى مرور خمسين سنة على وفاة مالك بن نبي رحمه الله

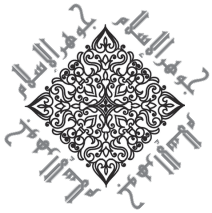

مالك بن نبي رجل الرسالة
«ان القبر الحقيقي للأموات هو قلوب الاحياء»

كتبه بالفرنسية الأستاذ رشيد بن عيسى

و نقله إلى العربية الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

انطفأت روح مالك بن نبي ذلك الخادم العنود لقضية يقظة الشعوب الإسلامية، لقد مات بعد ان جعل من الفعالية تصورا محوريا لتفكيره، ولا ننكث له العهد اليوم بالبكاء على فقدانه، ان الطريقة المثلى لاحياء ذكرى فراقه هي نشر افكاره.

لقد كان مالك بن نبي رجل الرسالة. رسالة تملكته إلى حد اللهفة. لقد كان يرى هذه الرسالة بعين التقني وخبير الافكار. ففكرة ما تستطيع ان تكون حقيقة بدون ان تكون فعالة، معنى ذلك انها لا تدخل التاريخ. وبالعكس فان فكرة اخرى تكون خاطئة من وجهة نظر الصلاحية الداخلية إلا انها تكون حاضرة في التاريخ.

وكتجسيد للحالة الاولى نستطيع تقديم الفكرة الإسلامية التي يوليها كل المسلمين اهتمامهم، وبالنسبة للحالة الثانية نستطيع تقديم الماركسية. كيف نتصرف بطريقة تكون الفكرة التي نؤمن بها-بالنسبة لنا الإسلام-قادرة على توفير خبزنا اليومي؟

كيف نستطيع ان نتلافى انفصاما اجتماعيا نعيش في خضمه والذي يضطرنا للانتماء إلى الماورائيات بالنسبة للقانون الايماني والانجيل الماركسي ومنافسيه في حياتنا الزمانية؟

على هذا السؤال وامثاله اجاب مالك بن نبي (تغمده الله برحمته الواسعة):

ان أية فكرة لا تستطيع ان تواجه التاريخ اذا لم تتبنها مجموعة من الافراد منظمة في مجتمع متحضر.

والحضارة كما هو متعارف هي مجموعة شروط اخلاقية ومادية توفر لكل فرد في كل جوانب حياته شروط ازدهاره ونهضته.

ان الفكرة الدينية في تحريك وتنمية الحضارة تأخذ دور القادح.

ان الفكرة هي التي تطبع معنى التصاعد في مجهود كل فرد وهي التي تحقق التداخل والتمازج بين الجميع على قاعدة عقد موحد، وهي التي تشير في النهاية إلى الاتجاه الذي يجب سلوكه والهدف الذي ينبغي بلوغه. لذلك نرى ان المشكلة الدينية بالنسبة لابن نبي ليست فقط مسالة بناء المساجد وتنمية العلم الثقافي.

فنظرته للمشكل الديني هيجيلية وفي الآن نفسه تاريخية اجتماعية.

وهناك افكار اخرى يقدمها ابن نبي كعروض بديهية: (ليست المسالة إعادة الايمان إلى المسلم. فهو لم يفقده ابدا ويضيف قوله: وليست المسالة إعادة تلقينه الصلاة فنادرا ما يكون اتلفها انما المسالة هي ارجاع وظائف الدين الاجتماعية فيتجاهل القارئ الغربي هذا فنحن نتحدث عن الإسلام ومشكلة المسيحية في التفريق بين الاهداف لا تعنينا.

ان الإسلام هو دين اجتماعي وعندما يتكلم ابن نبي عن وظائفه الاجتماعية لا يجانب الواقع.

مهندس واجنبي عن الشريعة يختلف ابن نبي اختلافا جذريا عن مفكري الإسلام الذين سبقوه ويرجع ذلك إلى الرياضيات وطريقة استنباطه للاشياء.

لقد كانت نظرة المصلحين المسلمين قبله مجزأة عن المرض والعلاج ايضا.

وسيكون الاول الذي يوسع النظرة التشخيصية على صعيد حضارة منتهية وحضارة جديدة حضارة إسلامية يجب تشييدها بنفس العقلية الايديولوجية وانطلاقا من نفس الخميرة: القرآن: الذي مكن من تحقيق انطلاقة الإسلام الاولى.

ان مالك بن نبي ينتمي إلى ابن خلدون اكثر منه إلى ابن تيمية وعبده.

فهو كابن خلدون تحدث عن سنن الله يعني قوانين التاريخ، ولكن في حين ان ابن خلدون يكتفي بوصف التطور المرحلي نرى ابن نبي يستشف الامكانية بالنسبة للمسلمين المتخلين عن حالة الحضارة، معنى ذلك ان يلتحقوا بالركب المرحلي. كذلك فانه يستشف بالنسبة للانسان الغربي نفسه المحشور في حضارة منتهية امكانية

الافلات والتخلص من الحتمية الرهيبة القاضية على هذه الحضارة بأنها منتهية لا محالة. فابن نبي كان يؤكد على الاولوية الإنسانية يعني على الإيمان وعلى العلم وعلى الضمير وعلى الارادة.

ان ابن نبي كان يعمل من اجل رقي القومية الإسلامية التي كان يامل ان يراها تتجسد في ما يشبه كومنولث إسلامي كما وضحها في كتاب يحمل هذا العنوان. لقد دعا إلى فكرة التقريب بين افريقيا وآسيا وآمن بالقدرة التاريخية للافروآسيوية كحركة قادرة على زعزعة راحة الكبار.

لقد كان لابن نبي ايمان الغزالي وعمق ابن خلدون الفكري وثورية جمال الدين الافغاني وعزيمة حسن البنا. لقد كان ينتسب إلى هذا الخط من المفكرين والمصلحين كرشيد الرضا ومحمد اقبال وابن باديس الذي كان مريده وخليفته.

لقد كان مالك بن نبي يعلم ان هذا الشبح الخبيث (الإستعمار) الوافد من الخارج لم يستطع ان يحقق تقدمه إلا بتواطئ المسمى بالقابلية للاستعمار الكامن في مجتمعاتنا منذ زمن طويل والذي يجب التخلص منه قبل كل شيء.

ان ذلك التصوف المتقهقر كان ناشئا عن ضرب من ضروب الفوضى تسربت إلى روح مجتمع غارق عاش ما يسمى بماساة النجاة بالنفس وحدها دون سواها.

لم يكن ابن نبي وطنيا متعصبا فهو مريد لمحمد صلى الله عليه وسلم لا يمكن ان يعترف بقومية أخرى غير الإسلام.

وخلاصة القول لم يكن ابن نبي متملقا ولا نفعيا ولا وصوليا كالذين نألفهم بين الثوريين مصابين بمرض يمكن ان نسميه بكل بساطة: «النضج المستقيل».

لقد كان شاهدا على ضمير العالم الإسلامي وآخذا على عاتقه إعادة تذكير المسلمين بانذار طنطاوي جوهري: (إذا نسي المسلمون ما أقول لهم فاني انذرهم بنفس البلايا التي اهلكت عادا وثمودا). فهل كان ابن نبي متشائما؟ أبدا فالتشاؤم لا يجتمع مع الإيمان والايمان هو الامل والرجاء في الله.

سنة فقط تمضي على وفاة هذا الابن البار للإسلام، سنة مكنتنا من اعتبار الف حساب للعالم الإسلامي من لاهور والرباط مرورا بالسويس بدون ان ننسى البترول، يتبع نفس الطريق، طريق الحضارة الإسلامية الجديدة.

كتب هذا النص باللغة الفرنسية سنة 1974

تأبين الشّيخ العلاّمة سيدي محمّد بن حمدة الشّريف رحمه الله

نقيب السّادة الأشراف والإمام الشّرفي بجامع الزّيتونة المعمور

بقلم الدكتور وليد الهمامي[1]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، إنّا للّه وإنّا إليه راجعون

فُجِعَتْ السّاحة الدّينيّة والعلميّة التّونسيّة ليلة الخميس 14 صفر 1445هـ/ 31 أوت 2023م، بِفَقْد عَلَم من أعلامها، وإمام من أئمتها، ورجلٍ من أبرز رجالاتها، سليل السّادة الأشراف الأماجد، وكبير السّادة الأشراف الهنديين، الإمام الشّرفي بجامع الزّيتونة المعمور ونقيب السّادة الأشراف، المنعّم المبرور، الشّيخ سيدي محمّد (حمّادي) ابن الأجلّ الأكمل سيدي حمدة ابن الصّدر الهمام عَلم الأعلام سيدي أحمد الشّريف، وهكذا سلسلة نسبه الفاخر وصولاً إلى جدّه المصطفى -ﷺ-.

***مولده ونشأته العلميّة:**

وُلد الشّيخ محمّد الشّريف يوم الجمعة 11 ذي الحجّة 1351هـ/ 7 أفريل 1933م بمدينة تونس. ونشأ في بيت شرف وعلم ومجد، في كنف رعاية والده وذويه، فَحفظ القرآن العظيم في صغره على يدَيْ المؤدّب سيدي «علي» بكتّاب عاشور قُرب دارهم العامرة بنهج سيدي معاوية بالمدينة العتيقة بتونس.

ثمّ التحق بالمدرسة الصّادقية، حيث زاول تعليمه الابتدائي بها حتّى تحصّل على الشّهادة الابتدائية، وواصل تعليمه بمعهد الاخوان الكائن بنهج جامع الزّيتونة ليلتحق بعد ذلك بالجامع الأعظم جامع الزّيتونة المعمور، فانخرط في سلك طلبته، منتقلا بِنجاح من سنة إلى أخرى إلى أن أحرز شهادة الأهليّة، ثمّ التّحصيل في ذي الحجّة 1377هـ/ 11 جويلية 1958م، وواصل تعليمه العالي في القسم الشّرعي

(1) متحصّل على الشّهادة الوطنيّة الدكتوراه من جامعة الزيتونة واعظ ديني سابق بوزارة الشؤون الدينية. تونس.

مدّة تقارب ستّة أو سبعة أشهر خلال السّنة الجامعيّة 1971/ 1972م، وانقطع بعد ذلك عن التّعليم.

***شيوخه:** تلقّى الشّيخ محمّد «حمّادي» الشّريف العلم عن نخبة من علماء عصره، فتتلمذ لهم وأخذ عنهم، وانتفع بهم واستفاد منهم، ومن أبرزهم: والده الإمام النّقيب حمدة الشّريف، والإمام البحر العلاّمة الشّيخ محمّد الفاضل ابن عاشور، والعلاّمة الشّيخ محمّد الزّغواني، والعلاّمة الشّيخ محمّد العربي العنّابي، والعلاّمة الشّيخ عبد الرّحمان الظريف، والعلاّمة الشّيخ أحمد الشعّار، والعلاّمة الشّيخ صالح ابن الأمين.

***وظائفه:** لقد تدرّج الشّيخ محمّد «حمّادي» الشّريف في مراقي الإمامة بجامع الزّيتونة المعمور حتّى بلغ رتبة الإمام الأوّل والخطيب به، فَفِي أواخر الخمسينات من القرن العشرين، عُيّن فضيلته إمامًا نائبًا بالجامع الأعظم. وفي سنة 1961م أصبح إمامًا خامسًا، ثمّ إمامًا رابعًا في سنة 1402هـ/ 1982م. وفي سنة 1408هـ/ 1988م، ارتقى مباشرة إلى خطّة الإمام الثّاني بجامع الزّيتونة بعد إحالة الإمامَيْن الأوّل والثّاني: الشّيخ عبد الكبير الشّريف والشّيخ محمّد البشير الشّريف على الرّاحة.

وفي سنة 1434هـ/ 2013م، أصبح الإمام الأوّل والخطيب بالجامع الأعظم بعد وفاة أخيه الإمام أحمد الشّريف، كما خلفه في تولّي نقابة الأشراف.

وفي سنة 1436هـ/ 2015م، أضحى الإمام محمّد «حمّادي» الشّريف إمامًا شرفيًا بالجامع الأعظم، بعد تولّي سماحة الشّيخ المفتي هشام بن محمود لخطّة الإمامة والخطابة بهذا الجامع، وظلّ محتفظًا بنقابة الأشراف.

***أخلاقه وورعه:** لقد عرفنا حضرة النّقيب عن قُرب وجالسناه وخبرنا طينته المحمّديّة مرارًا وتكرارًا ببيته العامر بضاحية سيدي بوسعيد، خاصّة في آخر سنوات عمره الشّريف وهي زبدة مسيرته العلميّة وخلاصة تجربته الحياتيّة، فهو صاحب أخلاق رضيّة وشيم مرضية هاشمية نبويّة، ذو بشاشة وحُسن ملاقاة، نقي الظّاهر، تقيّ الباطن، كريم السّجايا، لطيف المحادثة، عظيم الهمّة، جليل المقام، عليه مهابة ووقار، نحيف الجسم، جميل الصّورة، عمّه الشّيب وكان الشّيب نورًا كشيب جدّه المصطفى، يتلألأ وجهه نورًا، تظهر عليه آثار الشّرف والصّلاح والولاية.

وقد شهد محراب جامع الزّيتونة شدّة خشوعه وتقواه وورعه، واحتفى منبره ببليغ خطبه، وعرفت رحابه وجنباته جميل عباداته وقرباته من صلاة ودعاء وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ودعوة إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. فضلاً عن جلوسه عند باب الشفاء مع الأئمة لرواية صحيحَيْ البخاري ومسلم وكتاب الشّفا

للقاضي عياض في شهور: رجب وشعبان ورمضان، وحضوره المناسبات الدّينيّة، كـ: موكب الاحتفال بالمولد النّبوي الشّريف...

***آثاره:** ليس للشّيخ محمّد «حمّادي» الشّريف من آثار مطبوعة، غير أنّ له عددًا من الآثار المخطوطة غير المنشورة، كـ: بعض الخطب الجمعية والأختام الحديثيّة والكلمات الّتي كان يُلقيها في إحدى المناسبات الدّينيّة. كما نشرت له بعض الوسائل الإعلاميّة بعض أختامه في الحديث النّبوي الشّريف أو كلماته في إحدى المناسبات.

فضلا عن مكتبته الخاصّة الّتي تضمّ عددًا هامّا من المخطوطات والمطبوعات والوثائق العلميّة النّافعة والبالغة الأهميّة.

***وفاته:** انتقل حضرة النّقيب الإمام سيدي محمّد «حمّادي» الشّريف إلى جوار ربّه ومولاه، ملتحقًا بمن سبقه ومضى من سلفه الأبرار جوار جدّهم المصطفى -صلّى الله عليه وآله وسلّم- في ليلة الخميس 14 صفر 1445هـ/ 31 أوت 2023م مثلما أسلفنا الذّكر، فَانثلم بذلك في الإسلام ثلمة لا يسدّها غيره، وفقدت المدرسة العلميّة التّونسيّة علمًا آخر من أعلامها، ففارقنا حضرته عن عمر يُناهز التّسعين عامًا، قضّاها في الخير والصّلاح، والطّاعات والقربات.

وقد انطلق موكب جنازته من بيته العامر بضاحية سيدي بوسعيد في تمام السّاعة الثّالثة ظهرًا، في اتجاه جامع الزّيتونة المعمور أين أُقيمت على جسده الطّاهر صلاة الجنازة إثر صلاة العصر بحضور جموع من أهله وذويه، ومعارفه ومحبّيه، وخاصّته ومقرّبيه، ومريديه. وقد صلّى عليه سماحة مفتي الجمهورية التّونسيّة والإمام الأوّل بجامع الزّيتونة المعمور الشّيخ هشام بن محمود، ثمّ وُري الثّرى بتربة آله الأطهار بمقبرة الزلاّج في موكب خاشع مهيب، وقد أبّنه هناك سماحة المفتي. فَنُعزّي أنفسنا وأهله ومحبّيه في هذا المصاب الجَلل، ورحم الله شيخنا ومجيزنا الإمام رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنّاته مع الّذين أنعم عليهم من النّبيين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسُن أولئك رفيقا، ولا حرمنا الله أجره.

*المصادر:

-**الهمّامي (وليد): الإتحاف بتراجم السّادة الهنديين الأشراف: آل الشّريف وآل محسن بحاضرة تونس المحروسة**، مراجعة وتقديم: الشّيخ محمّد «حمّادي» الشّريف، دار الأهرام للطّباعة والنّشر، تونس، ط/ 1، 1443هـ/ 2022م، ص184-189.

-**الهمّامي (وليد): نقابة السّادة الأشراف ونقباؤها بالبلاد التّونسيّة: منذ التّأسيس إلى وقتنا الحاضر**، مراجعة وتقديم: الشّيخ محمّد حمّادي الشّريف، وهو الآن في طور الطّباعة.

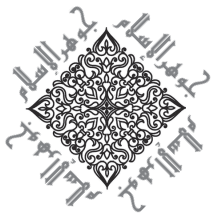

أخطر المعارك تلك التي يخوضها المسلم داخل كيانه

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي ـ رحمه الله ـ

خلق الإنسان في هذه الحياة ليكون مكافحا لا يعرف الراحة ومجاهدا لا يلقي السلاح وما يخرج من معركة إلا ليدخل معركة جديدة وهذه المعارك وان اختلفت الوانها وتنوعت اسلحتها إلا انها في مجموعها تمثل شدة وحرجا وتستلزم حنكة وصبرا وجراة، وانها لتخفى في بعض الظروف عن اعين الناس حتى ليغفل عنها ذلك الذي تدور رحاها في وسط دراه وداخل كيانه الشخصي، وهذه لعمري اخطرها واضراها وهي التي يحق لها ان تسمى بالمعركة الحاسمة او الجهاد الأكبر لطول امدها وتنوع الاسلحة التي تستعمل فيها.

ان الإنسان يعيش في هذه الحياة مع غرائز وميول وشهوات هي الصق به من ظله واقرب إليه من ابنائه واهله، وبجانب تلك الميول والغرائز والشهوات يحس بالواجب الإنساني الذي من اجله خلق وبه فضل عن بقية انواع الحيوانات الاخرى، وقليلة هي الاوقات التي تتلاءم فيها الشهوات مع الواجبات وحتى ان لم تكن قليلة عند بعض الناس فان الوصول إلى تحقيق تلك الغاية العظيمة ليس من السهل الميسور وانما تدرك بالمران الطويل وبترويض النفس والزامها سلوكا معينا يحبب لها الفضائل الخلقية ويجعلها بجانب المتع العابرة الزائلة خالدة امام زائل وحقيقة ازاء خيال وجوهرا بجانب عرض، نعم انها لكذلك بيد انه لا بد ان ياخذ منها نصيبه الذي لا بد منه والذي بدونه يعيش شقيا محروما يقصر عن كثير من غاياته النبيلة واغراضه الشريفة.

فكيف اذا يفعل؟ وبماذا يدفع هذا الشقاء والحرمان؟ ذلك هو الجهاد الدائم وتلك هي الحيطة المستمرة.

شهوات النفس غير متناهية، وغاياتها غير محدودة، فاذا اطاعها الإنسان واستسلم لها اصبح اسير شهوات لا تنتهي وعبد هوى لا ينقضي ولقد صدق من قال:

يـا خادم الجسم كم تشقى بخدمته اتطلب الربح مما فيه خسران؟
اقبل على النفس واستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم إنسان

اجل، اننا بشر بنفوسنا وارواحنا لا بشهواتنا واجسامنا فما الاجسام إلا اوعية وآلات لتلك النفوس التي تشهد الحقائق وتنشد الخلود وتسعى إلى تحقيق المثل العليا وانها لتأخذ لها من الزاد المادي ما يقيها غائلة الحاجة ويدرا عنها الضعف والهزال ويعطيها القوة والجدة والفعالية وما زاد على ذلك فهو مضيعة للوقت والجهد والتفكير، وان اصدق تعبير عن هذه الحقيقة ما قاله الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم (**الا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدينا جائعة عارية يوم القيامة الا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم ألا يا رب شهوة ساعة ورثت حزنا طويلا**)

هذه هي الفلسفة الحقيقية لحياة الإنسان مع الشهوة فليست كبتا مطلقا وارهاقا تاما. وليست عبودية واستسلاما ﴿**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ**﴾نعم الافراط في الشهوة يميت القلب ويحدث في الإنسان انحلالا وارتخاء يعوقانه عن مواصلة جهاده ويجعلانه اذا فوجئ بالحرمان والشدة يضعف ويذوي، واي حياة تدوم افراحها وتتصل مسراتها؟ فما احرى العقلاء ان يكونوا آخذين لاهبتهم مستعدين للطوارئ والمفاجآت خصوصا اذا علموا ان اموالهم وجهودهم واوقاتهم خلقت لها مصارف هي اسمى من المتع وانبل لأنها توجب خلود الذكر وعظم الاجر وتكسب المكانة الحقيقية التي لا تغتصب اغتصابا ولا تؤخذ بالملق والرشوة والطمع، فما التجمل بالزخرف والتبختر في المزركش من الثياب برافع من قدر الوضيع ولا عكسه بموجب تقيضه ولقد صدق أبو الطيب المتنبي اذ يقول:

لا يعجبن عظيما حسن بزته وهل يروق دفينا جودة الكفن؟

فاولى بالناس ان يكون تباهيهم بجمال الباطن لا بجمال الظاهر وتسابقهم على شحن القلوب بالخير لا على ملء البطون بانواع الطعام والشراب، وتفاضلهم بالاعمال الجليلة لا بالقصور الجميلة، وحبذا اذا تحققت لبعض الناس كل هذه الامنيات اما ان يكون الحقير على حساب الجليل فذلك ما نعيذ منه انفسنا واخواننا.

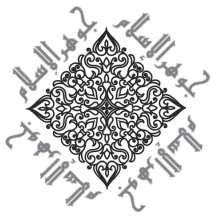

ماذا فعلتَ بدِرنة أيّها (الدنيال ؟)

شعر الأستاذ إبراهيم علي الربو (ليبيا)

دَرنةُ ما جَنَتْ يا سَيِّدِي ... حتى تَحُطَّ رِحالَكَ في دَارِها
هل نازَعتْكَ وهاجمتْكَ جيوشُها ... دَخَلَتْ عليك الدَّارَ من أقْطارِها
هل عَضّكَ نابٌ ومَسّكَ مِخْلَبٌ ... هَل نَالَكَ التّجْرِيحُ من أظْفارِها
أمْ أنّ دِرنةَ قدْ غَزاكَ كِبارُها ... فأتَيْتَ تَقْتُلُ في الظّلامِ صِغارَها
قل لِي بِرَبّكَ ما جَنَتْ، لا تَكْتُمَنْ ... سَبَباً هُنا كَيْ تَسْتَبيحَ ديارَها
أهُوَ الجّمالُ أرَدْتَ أنْ تَغْتالَهُ ... أهِيَ الثّقافةُ قد أرَدْتَ دَمارَها
أهِيَ الفُنونُ وقدْ أتَيْتَ مُشَمِّراً ... عن ساعِدَيْكَ لِكيْ تَهُدَّ جِدَارَها
أهُمُ الصّحابةُ في رِحابِ مَدينةٍ ... عُرِفَتْ بِهِم فَتَلألأتْ أنْوارُها
أم ْأنّهُ التاريخُ جِئتَ لِمَحْوِهِ ... وحَضَارةٌ في الخَافِقَيْنِ مَنارُها
أهُوَ السّلامُ وقد أتَى مُتَبَخْتِراً ... مِن بَعْدِ إرْهابٍ تَوَطّنَ دَارَها
أهِيَ الزّهورُ وعِطْرُها وأرَيجُها ... يَغْزو الفَضَاءَ مُعَرْبِداً بِجِوارِها
أمْ أنّهُ الشّعرُ الذي غَنّتْ بِهِ ... تِلكَ العَنادِلُ في رُبَى أوْكارِها

أمْ أنهُ الشَّلالُ ابْنُ مَدينةٍ يَهْفُو لهُ الخِلّانُ مِن سُمّارِها
أم دَوْحَةُ التّينِ التي حَطّمْتَها أسْقَطْتَ مِن كُلِّ الغُصُونِ ثِمارَها
أهِيَ المروءةُ والشّهامَةُ والتُّقَى أهيَ الجّميلةُ قد أزَلْتَ خِمَارَها
ألْبَسْتَ دِرنةَ من لِحافِكَ نَكْبَةً ونَسَجْتَ من حَرِّ الدُّمُوعِ إزَارَها
قُلْ بِربّكَ ما جَنَتْ حتّى أرَى ما يُحْزِنُ الأحْزانَ مِن أخْبارِها
دَاهَمْتَها ليْلاً بِسيْلٍ عارِمٍ ورَسَمْتَ فاجِعَةً على أسْوارِها
وضَرَبْتَ دُفاً للخَرابِ بِوادِها وعَزَفْتَ لحْنَ المَوْتِ من مِزْمارِها
مزّقتْ صُورتَها الجَميلةَ عُنْوَةً فَغَدَا يَنُوحُ مِن الفِراقِ إطارُها
يا أيّهَا (الدِنْيالُ) إنِّيَ مُؤمِنٌ بالله مَنْ رَفَعَ السَّمَا وأنَارَها
سُبْحانَهُ مِن خَالقٍ فهْوَ الذي خَلَقَ العِبادَ وحَدّدَ أقْدَارَها
رَبّاهُ حَاشا أنْ أكُونَ مُعارِضاً لِمَشِيئَةٍ أنْتَ رَسَمْتَ مَسارَها
لكنّني بَشَرٌ يُصارِعُ ضَعْفَهُ ويَمُوجُ في لُجَجِ الأسَى وغِمَارِها
رُغْمَ المَواجِعَ في القُلُوبِ تُدكُّها ما كُنْتُ يَوْماً لِلْمُقَدَّرِ كَارِها
يا ربِّ إيمَانيً بِلطْفِكَ راسِخٌ مَهْما النُّدُوبُ تَعَدَّدَتْ آثارُها
سَتَعودُ دَرْنةُ للحَياةِ وتَنْتَقِمْ مِن مَوْتِها، بَلْ من فُلولِ دَمارِها
وتَقُومُ مِن حُزْنٍ تُعانِقُ أيْكَةٍ حَمِلَتْ زُهورَ الحُبِّ في مِنْقارِها
وسَماؤهَا تَلِدُ النّجُومَ تَوابِعاً تَصْطادُ أمْواجَ الدُّجَي أنْوارُها
فَغَداً سَتَنْبُتُ في خَرابِكَ وردةٌ مِن بعدِ أنْ طَمَرَ التُّرابُ بِذَارَها
وغَداً سيَرجَعُ (للجَبِيلة[1]) لونُها وتَعودُ(شِيحَةُ)للحَبيبِ(مَغَارِها)
وتُعودُ زاهِرةُ البلادِ جَميلةً ويَعودُ مِن كُلّ الوَرَى زُوّارُها
وتقُومُ مِن تحتِ الرُّكامِ قَصيدَتي لِتُعيدَ لِلأُمِّ الرّؤومِ صِغَارَها

(1)(الجبيلة، شيحا، مغار) أسماء لأحياءٍ من درنة المنكوبة

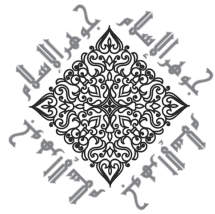

خطبة الجمعة

الصبر والمصابرة والمرابطة وتقوى اللّه هي أسباب النصر والفلاح

الحمد لله الذي خلق فسوّى وأرشد وهدى وأمر بالتقوى ووعد ووفّى نحمده حمدًا يكافئ نعمه التي لا تُحصى ونشكره شكرا نحظى به من الخير مزيده.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نعبده ولا نعبد سواه ونستعين به في كلّ أمورنا ونتوكل عليه فإن من توكل عليه كفاه ورعاه ونصره على من عاداه ونشهد أن سيّدنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه أدّى الرسالة وبلغ الأمانة وجاهد في الله حق جهاده: صلاة يتحقق بها الامتثال لأمره جلّ وعلا ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنّا. صلاة يتوالى تكرارها في كلّ آنٍ وحين لا سيّما في هذا اليوم المبارك الذي هو سيّد الأيام والذي يتضاعف فيه ثواب الصلاة عليه وعلى آله الاطهار وصحابته الابرار.

وأوصيكم عباد الله بما اوصي به نفسي: تقوى الله فإنها أحق ما يتواصى به المؤمنون مصداقا لقوله تعالى ﴿**وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾

أما بعد أيها المؤمنون يقول جلّ من قائل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ آل عمران 200، وهي آية جاءت بعد آيات دعاء وضراعة أجراها الله على ألسنة صفوة عباده لا بأس من ايراد بعضها تذكيرا وتدبّرا وهي قوله جلّ من قائل ﴿**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ**

هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾

هذا هو دعاء المؤمنين الذين سلّموا لله بأنه له ملك السماوات والأرض وانه سبحانه وتعالى على كلّ شيء قدير لا يعجزه شيء ولا يضيق بطلب صغر أوعظم شأنه، أمره بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون.

بعد ذلك يلفت الله تعالى تبارك وتعالى نظر عباده إلى بعض مظاهر عظمة قدرته وهو خلق السماوات والارض وتوالى الليل والنهار وتعاقبهما في قانون طبيعي لا يملك تغييره ولا تبديله أحد مهما أوتي من قوة وقدرة فالليل سيظلّ ليلا بظلمته وسكينته والنهار سيظلّ نهارا بإشراق نوره وانتشار الناس فيه لطلب الرزق والسعي في الأرض. إنها آيات باهرات وحجج قاطعة مقنعة مفحمة تنزل بردا وسلاما على أولي الألباب من ذوي العقول. أما من عميت قلوبهم فإنهم يظلون عنها غافلين إلى أن يأتيهم اليقين وتدركهم الموت آنئذ يندمون ولات ساعة مندم.

أما أولو الألباب فإن هذه الآيات تجعل ألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وشكره فيذكرون ربهم قياما وقعودا وعلى جنوبهم وفي كلّ أحوالهم وحيثما كانوا إنهم يتفكرون في خلق السماوات والارض ويا له من خلق عظيم دال دلالة قاطعة على وحدانية الله وقدرته- ولذلك ناسب أن يتبرّأ المؤمنون أولو الالباب من الشك في قدرة ربهم- فيقولون **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾** – كلا وألف كلا- **﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** التي أعدّها الله للكافرين الجاحدين إن من يدخله الله النار من الكفار فقد أخزاه- وما لهؤلاء الكافرين يومئذ من أنصار-

ويعود السياق إلى المؤمنين مصورا ومعبّرا عن احوالهم فقد آمنوا لما سمعوا من يناديهم للايمان بربهم ولذلك فهم يسألونه غفرانا وان يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة رسله عليهم السلام وأن لا يخزيهم يوم القيامة جلّ وعلا الذي لا يُخلف الميعاد.

يورد لنا المولى جلّ وعلا جوابه ووعده الحق **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾** سواء من هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله وقاتلوا وقتلوا في زمن البعثة النبوية- أو من سيأتون بعدهم إلى

يوم القيامة ممن يظلون مرابطين مجاهدين في سبيل الله لحماية المقدسات والدفاع عن الاوطان وعن الاطفال والنساء والشيوخ من الاعداء والمغتصبين الظالمين- إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين- ذلك وعدٌ من الله لم ولن يتخلف فإنه إذا كانت للباطل وللكفر صولة وجولة فإن للحق صولة إلى قيام الساعة ﴿**كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ ومن اتبع الرسل عليهم السلام وهي هذه الامة الشاهدة على الأمم الأخرى ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ هؤلاء الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم في كلّ زمان يعدهم الله – وهو لا يخلف الميعاد ﴿**لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾ فنعم أجر العاملين.

ويعود السياق إلى طمأنة المؤمنين ﴿**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ**﴾ لا يغرنّك فإنه متاعٌ قليل- ثم مأواهم جهنم وبئس الميعاد- خالدين فيها أبدا ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا**﴾ يخاطبهم ربهم يا من اتقيتم الله حق تقاته ويا من صبرتم ورابطتم وجاهدتم في الله حق جهاده ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**﴾

يستثني الله تبارك وتعالى ثلة قليلة من أهل الكتاب- فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**﴾

و يُختم هذا السياق القرآني الوارد في آخر سورة آل عمران بقوله جلّ من قائل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ صدق الله العظيم يا لها من خاتمة جميلة معبّرة تتوجه إلى كل المؤمنين الصادقين منذ أن بعث نبي الإسلام سيّد الأنام عليه الصلاة والسلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إنها دعوة إلى الصبر- والصبر طعمه كالصِبر في مرارته وقسوته وعذابه الشديد لكن عواقبه احلى من العسل. أمر الله به الرسول عليه الصلاة والسلام فقال له﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾عليهم السلام وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتمهم الحبيب-المصطفى عليه وعليهم السلام- والصبر هو من الله يهبه للمخلصين من عباده المتّقين- الذين لا يعبدون الله على حرف- عبادة طمع في العاجل إذا نالوه وحصلوا عليه آمنوا – باللسان- وإن أصابتهم مصيبة أو وقع لهم مكروه نكثوا وغيّروا وبدّلوا، فالصابرون موعودون من ربّ العالمين بان الله يوفيهم أجرهم من غير حسابٍ بدون عدٍّ ولا حدّ

ومن لا يصبر ولا يصمد ولا يقبض على دينه فهو في خسران والذي هو أشدّ من الخسارة –خسارة في الدارين- خزي وعار عند الانهيار لجبن وخوف وطمع وخسران وفي الدار الآخرة أشد وأنكى يقول جلّ من قائل ﴿**وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾

شروط ثلاثة للنجاة في الدنيا والآخرة وهي الايمان بكلّ مكوناته (الايمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر) والايمان بكلّ مقتضياته المتمثلة في التطابق بين الاقوال والافعال والظاهر والباطن وما أصعبه –ولا يظفر به إلا الكمل من عباد الله الصالحين وقليلا ما هم خصوصا في هذا الزمان، والعمل الصالح وما أدراك ما العمل الصالح وهو مشاعر في القلوب أساسها صفاء ونقاء وحب للخير لكلّ عباد الله خصوصا المؤمنين ﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ واقوال تنطق بها الألسنة أمر الله بها عباده المتقين ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)** كما جاء في الحديث وعمل صالح **(والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده)** فيد المسلم بيضاء من غير سوء تمتدّ بالخير لكلّ عباد الله .

الشرط الثالث: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ والحق هو الايمان بالله وملازمة الحق واجتناب كلّ ما يُخالفه ويناقضه في الأقوال والافعال والمواقف والتواصي بالصبر.

ان الآية الأخيرة من سورة آل عمران فيها النداء الموجه للمؤمنين ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ قال الحسن البصري رضي الله عنه (أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام فلا يدعوه لسرّاء ولا لضرّاء ولا لشدّة ولا رخاء حتى يموتوا مسلمين وان يصابروا الأعداء).

وعن أبي ايوب رضي الله عنه وقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال **(هل أدلكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر قلنا نعم يا رسول الله وما هو؟ قال إسباغ الوضوء على المكاره- شدّة البرد- وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة إلى الصلاة)**

وقيل المراد بالمرابطة ههنا الغزو في نحر العدو وحفظ ثغور الإسلام وصيانتها من دخول الأعداء في حوزة بلاد المسلمين. روى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**

وروى مسلم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال **(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى له عمله الذي كان يعمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر)**

وعن ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **ارباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من غير رمضان أعظم أجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها)**

واحاديث الرباط والمرابطة في سبيل الله وفضل الشهادة في سبيل الله وأجر المجاهدين في سبيل الله مفصلة وهي عديدة في كتب الصحاح- تجعل من الجهاد في سبيل الله سناما وذروة للإسلام وتدعو المسلمين أن يظلّ الجهاد فيهم ماضٍ إلى يوم القيامة وان تركه مؤدٍّ إلى المذلة والمهانة في الدنيا والآخرة.

وما تعيشه الاراضي الفلسطينية المباركة في هذه الأيام من جهادٍ واستبسال وذودٍ عن الحياض وعن المقدّسات هو ما نحتسبه عند اللّه لأولئك المجاهدين الصابرين المصابرين المرابطين شرفا وعزّا في الدنيا وثوابا وأجرا عظيما في الآخرة يستوجب لهم من إخوتهم في العقيدة النصرة والمساعدة وتقديم كلّ ما في الوسع حماية لظهورهم حتّى يحقّقوا للأمة ما وعدها الله به من فتح مبين قريب بإذن الله الذي لا يُخلف الميعاد-

إن النصرة لهم واجبة بالأنفس والاموال من المكلفين بذلك والمطالبين بذلك من عموم الأمة وكذلك بالدفاع عنهم واتخاذ المواقف العملية المساندة لهم في المحافل والتنديد بالجرائم الشنيعة الوحشية التي لم يقع مثلها عبر التاريخ من طرف الصهاينة النازيين.

والكلمة والموقف المشرف والمنتصر للحق من مختلف المواقع وبكلّ اللغات هو ضرب من ضروب الجهاد الذي يعزل ويعري المعتدين وكل من يناصرهم ويقف بجانبهم.

وتختم الآية الأخيرة من سورة آل عمران بقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فتقوى الله ثم تقوى الله ثم تقوى الله في كلّ الأحوال والأقوال والأفعال وبالمواقف الشريفة المساندة للأخوة المرابطين في الأرض المباركة في غزّة والضفة وبجوار بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى سيّد المرسلين عليه الصلاة والسلام واجب على كلّ مسلم ومسلمة مقدم على كلّ ما سواه من القربات من غير الفرائض هذه هي التقوى التي نرجو بها من الله الفلاح والصلاح

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم إنه هو الغفور الرحيم

جامع البحيرة 1 تونس 3/ 11/ 2023

ألقاها الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

الخطبة التاريخية من العهد المريني في الْحَضّ عَلَى رَفض مَا سوَى الله تَعَالَى وَالدُّعَاءَ فِي رَفْعِ مَا دَهَمَ مِنْ حَصْرِ الْكُفْرِ وَإِثْخَانِهِ (1)

بقلم الأستاذ عبد الهادي هنركامب

أقدم للقارئ اليوم خطبة من خطب أبي عبد الله مَحمد بن إبراهيم بن عبّاد الرُّنْدِي ثم الفاسي (ت 792هـ/ 1390م)؛ وهي واحدة من مجموعة الخطب المعروفة التي ألقاها ابن عبّاد – قدّس الله ثراه – حينما كان إماما وخطيبا بمسجد القرويين بمدينة فاس – حفظها الله من كلّ بأس – في العهد المريني بين 787 هـ/ 1375 م 792 هـ/ 1390 م. وبما وتتضمّن هذه الخطبة من المعاني تناسب الظروف الحالية في العالم الإسلامي أتشرف بالمشاركة بها في هذا العدد من جوهر الإسلام. وقد صارت هذه الخطب ومثلها مرجعاً هامّاً عند عامة خطباء الجوامع المغربية بعد وفاته.

وفي هذه الخطبة يدعو ابن عبّاد المسلمين إلى رفع أكف الضراعة إلى الله، والدعاء للمجاهدين في بلاد الأندلس بالنصر والتمكين، وألّا يجزعوا من قوة أعدائهم من النصارى – حين ذاك – ووفرةِ عتادهم وكثرةِ أمدادهم، وأن يُقوّوا رجاءهم في النصر، وأن يعينوهم بما يستطيعون من الأموال، ومواصلة الدعاء والابتهال، ثم ختم خطبته بدعاء طويل بالنصر والعون للمسلمين الذين انتهضوا بمقاومة ودحْرِ أعدائهم الذين طغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، واسترجاع العدل وحقوق العباد حسّا ومعنى.

*** خُطْبَةٌ فِي الْحَضِّ عَلَى رَفْضِ مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى ***

وَالدُّعَاءَ فِي رَفْعِ مَا دَهَمَ مِنْ حَصْرِ الْكُفْرِ وَإِثْخَانِهِ

الْحَمْدُ لله سَامِعِ الدُّعَاء * كَاشِفِ الضُّرِّ دَافِعِ الْبَلَاء * الْمَرْجُو عِنْدَ انْقِطَاعِ حَبْلِ الرَّجَاء * الْمُؤَمَّلِ لِتَفْرِيجِ الشَّدَائِدِ وَتَنْفِيسِ الْلَّأْوَاء * الْعَالِمِ بِمَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ﴿**وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾ [إبراهيم: 40] * نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا قَضَاهُ مِنْ سَرَّاءٍ وَضَرَّاء * وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى مَا أَحَبَّهُ مِنْ طَاعَةٍ وَاهْتَدَاء * وَنَسْتَغْفِرُهُ لِذُنُوبٍ جَلَّتْ مِنْ الْعَدِّ وَالْإِحْصَاء * وَنَعُوذُ بِالله مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاء * وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ * شَهَادَةَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهَا طَرِيقُ النَّجَاء * فَخَلَّصَهَا مِنْ شَوَائِبِ الشُّكُوكِ وَالْامْتِرَاءِ * وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الْمَنْزِلَةِ الْعَلْيَاءِ * وَالدِّيَانَةِ السَّمْحَةِ الْبَيْضَاءِ * صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْمَحَبَّةِ وَالْاصْطِفَاءِ * صَلَاةً تَحْشُرُنَا فِي زُمْرَةِ الْأَوْلِيَاءِ * وَتُؤَمِّنُنَا مِنَ مَخُوفِ الْجَزَاءِ *

أَيُّهَا النَّاسُ سَلِّمُوا الْأُمُورَ إِلَى مُدَبِّرِ الْأُمُورِ، وَقِفُوا عَلَى أَقْدَامِ الرِّضَا، فَإِنَّ أَمْرَهُ تَعَالَى قَدَرٌ مَقْدُورٌ؛ وَالْجَؤُوا إِلَى الله تَعَالَى إِذَا أَعْيَتْكُمْ أَوْ لَمْ تُعِيكُمُ الْمَطَالِبُ، وَتَحَقَّقُوا بِقُلُوبِكُمْ ضُعْفَ الْمَطْلُوبِ مِنْهَا وَالطَّالِبِ،[1] وَرُدُّوا وِجْهَتَكُمْ إِلَى مَنْ فِي قَبْضَتِهِ الْمَغْلُوبُ مِنَّا وَالْغَالِب؛ وَأَخْلِصُوا سَرَائِرَكُمْ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ الْخَفِيَّ كَمَا يَعْلَمُ الْجَلِيَّ، وَيَرَى الْحَاضِرَ كَمَا يَرَى الْغَائِبَ؛ وَاسْتَدِرُّوا كَرَمَهُ الْجَمَّ[2] وَفَضْلَهُ الَّذِي عَمَّ أَهْلَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ؛ وَاقْرَعُوا بَابَهُ الْكَرِيمَ بِقُلُوبِكُمْ لَا بِالْأَيْدِي؛ وَدَعُوا التَّعَلُّقَ بِمَنْ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يُعِيدُ وَلَا يُبْدِيءُ، فَهُوَ الْفَرْضُ الْوَاجِبُ؛ وَلَا تُعَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِسِوَى الله، فَيَكِلَكُمْ اللهُ إِلَيْهِ، وَلَا نَظَرَكُمْ إِلَى مَنْ دُونِ الله، فَيُعَاقِبَكُمُ اللهُ عَلَيْهِ؛ وَلَا تَهْتِفُوا بِمَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَتَتْرُكُوا نِدَاءَ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ؛ وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بِمُفْتَقِرٍ إِلَى النَّصْرِ إِلَّا بِمَوْلَاكُمْ، فَهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرِ؛ وَلَا تَهَتَّمُوا بِالطَّاغِيَّةِ[3] الْمَزِيدَ وَأَمْدَادَه،

---

(1) اقتباس من قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج: 73].

(2) الجم: الكثير.

(3) الطاغية في الظروف التاريخية لهذه الخطبة يعني به ملك فشتالة أي: مملكة «قشتالة» (Castille) النصرانية.

وَشِرْذِمَتُهُ[1] الْخَاسِرَةُ وَأَجْنَادُهُ؛ فَإِنَّ جَمْعَهُمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ - إِلَى تَفْرِيقٍ، وَمُلْكُهُمْ إِلَى تَمْزِيقٍ، وَتَحَقَّقُوا أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَيْنِ،[2] وَأَنَّ لِمَنْ صَبَرَ وَرَضِيَ عَنِ اللهِ أَجْرَيْنِ؛ وَالْبِسُوا جُنَنَ[3] الصَّبْرِ وَاتَّخِذُوهُ عَادَةً، وَارْتَقِبُوا مَعَ ذَلِكَ الْفَرَجَ؛ فَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ».[4]

فَاعْتَصِمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ تَسْلَمُوا، وَاسْتَسْلِمُوا لِحُكْمِهِ الْعَدْلِ تَسْلَمُوا، وَأَصْلِحُوا الضَّمَائِرَ قَبْلَ إِصْلَاحِ الظَّوَاهِرِ، وَأَخْلِصُوا الدَّعَوَاتِ، فَهِيَ أَمْضَى الْمُرْهَفَاتِ؛ وَفِرُّوا إِلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَادْعُوهُ مُؤَمِّلِينَ الْإِجَابَةَ، وَلَا تَنْسَوْا إِخْوَانَكُمْ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَأَحْبَابَكُمُ الْحَنِيفِيِّينَ، وَغُرَبَاءَكُمُ الْمُنْقَطِعِينَ، ذَوِي الْمَنَازِلِ الْمُنَزَّلَةِ، وَالْمَعَاقِلِ الْمُعَقَّلَةِ، السَّاهِرِينَ وَنَحْنُ نِيَامٌ، الْمُقَاتِلِينَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ إِخْوَانُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ شَأْنِ الْأَخِ أَنْ لَا يُسْلِمَ أَخَاهُ بِمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ، فَعِنْدَ الشَّدَائِدِ أَبَداً تُوجَدُ الْإِخْوَانُ، فَهَاهُمْ - ثَبَّتَهُمُ اللهُ - قَدَّمُوا نَحْوَنَا الْأَيْدِي وَالْقُلُوبِ، وَسَعَوْا إِلَيْنَا بِآمَالِهِمْ سَعْيَ الْمُحِبِّ الْغَائِبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ، بَعْدَ مَا أَدْرَكَتِ الْمِلَّةُ الْكَافِرَةُ فِيهِمْ ثَمَارَهَا، وَأَضْرَمَتْ فِي حَرْبِهِمْ نَارَهَا، فَهُمُ الْيَوْمَ رَهْناً كَرَّاتِ الْجُنُودِ، قَرْناً طَعْنَ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ، لَا طَعْمَ لَذَّةٍ يَجِدُونَ، وَلَا إِلَى رَاحَةٍ يَخْلِدُونَ، فَأَعِينُوهُمْ بِأَنْفُسٍ كَرِيمَةٍ وَأَمْوَالٍ، وَأَمِدُّوهُمْ بِخَالِصِ تَضَرُّعٍ وَابْتِهَالٍ؛ فَالدُّعَاءُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللهِ، وَعَوْنٌ عَظِيمٌ مِنْ مَعُونَةِ اللهِ، وَأَقِرُّوا لَهُ بِالتَّقْصِيرِ فِي مَا أَوْجَبَ وَأَلْزَمَ تَجِدُوهُ أَرْأَفَ بِكُمْ وَأَرْحَمَ.

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلَامَنَا، وَتَرَى مَكَانَنَا، وَتَعْلَمُ إِسْرَارَنَا وَإِعْلَانَنَا؛ وَإِقْرَارُنَا بَيْنَ يَدَيْكَ بِذُنُوبِنَا أَوْجَبُ عَلَيْنَا مِنْ سُؤْلِنَا، فَقَدْ أَخْرَسَتِ الْمَعَاصِي أَلْسِنَتَنَا، وَقَيَّدَتْ

---

(1) شرذمة: طائفة قليلة من الناس؛ في القرآن انظر: ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ**﴾ [الشعراء: 54].

(2) اقتباس من قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الۡعُسۡرِ يُسۡرًا**﴾ ﴿**إِنَّ مَعَ الۡعُسۡرِ يُسۡرٗا**﴾ [الانشراح: 5 - 6]. وكذا معنى الحديث: «لن يغلب عسر يسرين»، وهو يشرح الآية وفيه نكتة بلاغية وهي أن الاسم إذا تكرر وهو معرفة لا يساوي إلّا إيّاه معنى، أنه يساوي واحدا، أما الاسم إذا تكرر وهو نكرة فإنه يساوي اثنين، وهذا ما قال به السيوطي والزركشي وغيرهما؛ انظر **عمدة القاري العَيْني**، ج 10، 301، **الجامع** للقرطبي، ج 10، ص 107، و**البحر المحيط** لأبي حيان، ج 8، ص 488، و**رحلة ابن رشيد**، دراسة وتحليل لأحمد حدادي، ج 2، ص 785.

(3) الجنن بضم الجيم: الوقاية.

(4) رواه الترمذي وغيره برواية ابن مسعود.

جَوَارِحَنَا عَنْ خِدْمَتِكَ، وَحَجَبَتْ أَفْئِدَتَنَا حَتَّى لَمْ تُبْقَ لَنَا عِنْدَكَ جَاهاً، وَلَا لِلْاعْتِذَارِ مِنَّا وَجْهاً، وَلَكِنَّكَ تَعْلَمُ وَتَحْلُمُ[1]، وَتُبْصِرُ وَتَسْتُرُ، فَسُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ حُجَّتَكَ عَلَيْنَا، وَأَكْرَمَ عَفْوِكَ عَنَّا وَجُودَكَ لَدَيْنَا. **اللَّهُمَّ** بِوُجُوبِ حُجَّتِكَ عَلَيْنَا وَافْتِقَارِنَا إِلَيْكَ وَاسْتِغْنَائِكَ عَنَّا إِلَّا مَا غَفَرْتَ لَنَا، وَكَشَفْتَ عَنَّا مِنَ الْكَفَرَةِ مَا حَلَّ بِنَا، فَإِنَّ ذُنُوبَنَا – وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً، فَهِيَ فِي جَنَّابِ عَفْوِكَ حَقِيرَةٌ.

اَللَّهُمَّ إِنَّا دَعَوْنَاكَ مُسْتَرْحِمِينَ لِأَنْفُسِنَا، وَرَجَوْنَاكَ مُسْتَنْصِرِينَ لِإِخْوَانِنَا، فَأَصْحِبْهُمْ اللَّهُمَّ مِنْ نَصْرِكَ وَعَفْوِكَ رَفِيقاً، وَاسْلُكْ بِهِمْ إِلَى إِنْجَائِهِمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ طَرِيقاً؛ اللَّهُمَّ أَنْزِلْ فِي قُلُوبِهِمْ السَّكِينَةَ، وَأَشْعِرْهُمْ قُوَّتَكَ الْمَكِينَةَ، وَاجْعَلِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ جُنَّتَهُمُ الْوَاقِيَةَ، وَدُرُوعَهُمُ الْحَصِينَةَ؛ اللَّهُمَّ ثَبِّتَهُمْ عِنْدَ مُقَارَعَةِ أَعْدَائِكَ، وَأَلْزِمْهُمْ طُرُقَ طَاعَتِكَ وَاهْتِدَائِكَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْ بَيْنَ طِبَاقِ الْكُفْرِ غُرْبَتَهُمْ، وَآنِسْ بِقُرْبِ الرَّجَاءِ فِي مَا عِنْدَكَ وَحْشَتَهُمْ، وَأَقِلْ بِنَصْرِكَ الْعَزِيزِ عَثْرَتَهُمْ؛ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُمْ هَجَرُوا لَذِيذَ أَوْطَانِهِمْ، وَلَحِقَهُمُ الْيَأْسُ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ، فَارَقُوا الْأَزْوَاجَ وَالذُّرِيَّةَ، وَتَعَلَّقُوا مِنْ كَرَمِكَ بِآمَالٍ وَأُمْنِيَّةٍ، حُبّاً مِنْهُمْ لِدِينِكَ، وَطَمَعاً فِي إِغَاثَتِكَ وَتَأْمِينِكَ.

اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ مَا عَلَّقُوا بِكَ مِنْ رَجَائِهِمْ، وَاكْفِهِمْ مَا أَهَمَّهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَأَغْمِدْ عَنْهُمْ سَيْفَ الْفِتْنَةِ، وَاكْفِهِمْ عَوَارِضَ الْمِحْنَةِ؛ اللَّهُمَّ وَإِنْ حَبَسَتْنَا عَنْ إِغَاثَتِهِمْ جَرَائِمُنَا، وَمَنَعَتْنَا مِنْ حِمَايَتِهِمْ مَآثِمُنَا، وَقَطَّعَتْ بِنَا الْقَوَاطِعُ عَنْ التَّمَلِّي[2] مِنْ غُبَارِهِمْ، وَالتَّحَلِّي بِالدُّخُولِ فِي غِمَارِهِمْ، فَإِنَّ النِّيَّاتِ الَّتِي تَعْلَمُ مِنَّا فِي ذَاكَ عَامِلَةٌ، وَالْأَرْجَاءُ لِنَيْلِ ذَلِكَ فِي مَا بَعْدَ آمِلَةٌ، وَقَدْ مُيِّزْنَا[3] بِهَا لَدَيْكَ، وَقَدَّمْنَاهَا – وَإِنْ تَأَخَّرْنَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَلَا تُخَيِّبْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ لُطْفِكَ الْجَمِيلِ رَجَاءَنَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ لَبِسَ

(1) حَلُمَ حِلْم: صفح وستر.
(2) التملّي: يعني التملّؤ، أي الامتلاء.
(3) الميز: استعراض الجيوش والقوة وهي من المصطلحات الحضارية في عصر بني مرين، واستعماله هنا على سبيل التشبيه.

لِإِعْلَاءِ كَلِمَتِكَ لَأْمَتَـهُ،[1] وَصَدَّقَ الْكُفَّارُ بَأْسَهُ وَشَهَامَتَهُ، وَسَوَّمَ[2] فِي طَوَائِمِ[3] الْإِسْلَامِ جِيَادَهُ، وَهَوَّنَ صِعَابَهُ وَأَلَانَ شِدَادَه، وَاكْتَنَفَ أَهْلَهُ فِي الشَّدائِد، وَنَـصَرَهُ بِـحَدِّ سِنَانٍ وَأَيْدٍ[4] سَاعِد.[5]

اللَّهُـمَّ عُـمَّ[6] أَعْدَاءَكَ الْكَـافِرِينَ بِالتَّبَابِ[7] وَالْكَبْتِ، وَاحْطِمْهُمْ حَطْمَ هَشِيمِ النَّبْتِ، وَأَذْلِلْـهُمْ كَمَا أَذْلَلْتَ أَصْحَابَ السَّبْتِ، اللَّهُـمَّ قَـرِّبْ هَلَاكَـهُمْ وَبَوَارَهُمْ[8] وَأَوْرِثْنَا أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ؛ اللَّهُـمَّ أَهْلِكْ طَاغِيَـتَـهُمُ الْأَكْبَرَ، وَاهْزِمْ جُنْدَهُمُ الْأَخْسَرَ، وَأَعْقِبْ كَيْدَهُمْ تَضْلِيلا،[9] وَعَوِّدْهُمْ فِي الظَّفَرِ عَكْساً وَتَبْدِيلا؛ اللَّهُـمَّ إِنَّـهُمْ قَدْ تَنَادَوْا إِلَى مَا لَكَ بِالْأَنْدَلُسْ مِنْ بِلَادٍ وَإِسْلَام، تُنَادِي مَنْ جَهِلَ سِجَالَ[10] الْحُرُوبِ وَأَمِنَ عَوَاقِبَ الْأَيَّام، لِيَمْحُوا مَا لَكَ بِـهَا مِنْ سُنَّةٍ وَفَرْضٍ، وَيَسْتَفِـزُّوا[11] عِبَادَكَ مِمَا لَهُمْ بِـهَا مِنْ بِلَادٍ وَأَرْضٍ، وَيَـخْفِضُوا بُيُوتَكَ الَّتِي أَذِنْتَ أَنْ تُرْفَـعَ، وَيُسْجَدَ فِيـهَا لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَيُرْكَعَ، وَيُـعَوِّضُوا بِـهَا مِنْ تَوْحِيدِكَ تَـثْلِيثَـهُمْ، وَمِنْ طَيِّـبِكَ خَبِيثَـهُمْ، وَالْكُلُّ مَوْلَانَا بِعَيْنِكَ، مَصَرَّفُونَ تَحْتَ قَـهَرِ حُكْمِكَ، مَا لِأَحَدٍ مِنْكَ مَهْرَبٌ، وَلَا عَلَى غَيْرِ إِرَادَتِكَ مَذْهَبٌ. فَنَسْأَلُكَ اللَّهُـمَّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَرُدَّهُمْ عَنَّا خَائِبِينَ خَاسِئِينَ[12] خَاسِرِينَ؛ وَلَا تَجْعَلْهَا لَهُمْ مَغْنَـمـا، وَلَا إِلَيْـهَا مِنْ ظَفَرِكَ سُلَّمـاً.

اللَّهُـمَّ دَمِّرْهُمْ تَدْمِيراً، وَتَـبِّرْ مَا عَمِلُوا تَتْبِيراً، وَلَقِّـهِمْ مِنْ أَخْذِكَ يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً؛ اللَّهُـمَّ خَيِّبْ سَعْيَـهُمْ، وَخَرِّبْ رَأْيَـهُمْ، وَفَلِّلْ غَرْبَـهُمْ، وَقَلِّلْ حِزْبَـهُمْ؛

(1) اللامة: الدرع.
(2) سوّم الخيل: أرسلها. **القاموس المحيط**.
(3) طوائم: كذا في النص؛ جمع الطُّومة: الداهية. **القاموس المحيط**
(4) أيْد: مصدر آدَ / يَئِيدُ بمعنى اشتدّ وقوي. **القاموس المحيط**. والأيد كما في **اللسان**، قال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ**﴾ [الذاريات: 47]، و﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ**﴾ [ص:17]، ومعناها في النص قوة الساعد أي اليد.
(5) كذا في الأصل.
(6) ح: واعم.
(7) التباب: الهلاك.
(8) البوار: الهلاك.
(9) اقتباس من قوله تعالى في سورة الفيل.
(10) السجال: يقال الحرب سجال، أي تداول النصرة.
(11) الاستفزاز: استفزه الخوف استخفه، وقعد مستفزا، أي غير مطمئن.
(12) خاسئين: مطرودين.

اللَّهُـمَّ اقْطَعْ دَابِرَهُمْ، وَرَوِّعْ نَاصِرَهُمْ، وَمَزِّقْ أَوْصَالَهُمْ، وَافْرُقْ وِصَالَهُمْ، وَبَلِّغْنَا فِيـهِمْ آمَالَنَا وَلَا تُبَلِّغْ فِينَا آمَالَهُمْ، فَإِنَّك مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَهُمْ.

اللَّهُـمَّ أَمِّنْ بِإِهْلَاكِهِمْ رَهْبَتَنَا، وَسَكِّنْ بِتَدْمِيرِهِمْ رَوْعَتَنَا، وَأَطْفِي مِنْ حَرْبِـهِمْ مَا أُوقِدَ وأُضْرِمَ، وَأَهْلِكْهُمْ وَطَاغِيَتَـهُمُ الْعَظِيمَ، يَا خَيْرَ النَّاصِرِينَ لِلْمُسْتَنْصِرِينَ، وَيَا أَقْرَبَ الْمُغِيثِينَ لِلْمُسْتَغِيثِينَ، يَا مَنْ هُوَ بِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَعَلَى كُلِّ مَرْجُوٍّ مِنْهُ قَدِيرٌ

آميـــن

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد: 1-3]

ورأينا من المناسب هنا أن نضيف إلى هذه الخطبة فِي الْحَضِّ عَلَى رَفَضِ مَا سِوَى الله تَعَالَى حكمة من حكم ابن عطاء الله الأسكندري – رحمه الله – مع شرح ابن عبّاد الرندي من **كتاب التنبيه** لمناسبة هذه الحكمة مع موضوع الخطبة. وبالله التوفيق.

7 **لا يُشَكِّكَـنَّك في الوَعدِ عَدَمُ وُقوعِ الـمَوعُودِ، وإن تَعَيَّنَ زَمَنُه، لِئَلّا يَكُونَ ذلك قَدحاً في بَصيرَتِك واختماداً لِنُورِ سَريرَتِك.**

الحقُّ – سبحانه – لا يُـخلِفُ الميعادَ. فـمَن وَعَدَه مَولاه شَيئاً – وإن كان مُعَيَّنَ الزَمانِ – ثُـمّ لَمْ يَقَعْ ذلك الـمَوعودُ، فلا يَـنبغي أن يُشَكِّـكَه ذلك في صِدقِ وَعدِ رَبِّـه. ولْيُجَوِّزْ أن يَكُونَ وُقُوعُ ذلك الوعدِ مُعَلَّقاً على أسبابٍ وشُروطٍ استَأثَـرَ الحقُّ تعالى بِعِلمِها دونَ العَبدِ. فعلى العبدِ أن يَعرِفَ قَدرَه ويَـتَأَدَّبَ مَع رَبِّـه ويَسكُنَ إليه فيما وَعَدَه به ويَـطمَئِنَّ إليه ولا يَـتَشَكَّكَ في ذلك ولا يَـتَـزَلزَلَ اعتِقادُه فيه. فـمَن كان على هذا الوَصفِ ، فهو عارفٌ باللهِ تعالى، سالِمُ البَصيرةِ، مُنَـوَّرُ السَريرةِ؛ وإلّا، فعلى العَكسِ.[1]

(1) محمد بن عبّاد الرندي، **كتاب التنبيه في شرح حكم ابن عطاء الله الأسكندراي**، الدراسة والتحقيق الدكتور أرآش أبوتورابي حمداني، لنيل الدكتورة من جامعة الجورجيا، 2023.

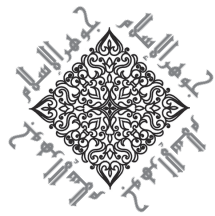

يسألونك قل

مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ

بقلم الشيخ محمد الحبيب النفطي ـ رحمه الله

لا حق للآباء في اكراه ابنائهم على الزواج ممن يكرهون

العلاقة الزوجية لا تكون الا في اطار ما يجيزه الشرع والزواج العرفي غير جائز

السؤال: يقول السائل الكريم أنا شاب ابلغ من العمر 25 سنة تعرفت على امرأة مطلقة عمرها 24 سنة احببنا بعضنا فقررت الزواج بها. ولما اقترحت على والدي الموافقة على موضوع الزواج بها عارضني بشدة وقال لي ان تزوجتها ساحرمك من الميراث، وبعد تفكير عميق قررت ان اكتري منزلا مستقلا عن ابي وان انفق عليها من مالي الخاص واصبحت اعاشرها معاشرة الازواج إلى يومنا هذا وقد مرت على علاقتنا ببعضنا سنتان. فضيلة الشيخ ما هو حكم الشرع في علاقتنا مع العلم اني اعتبرتها زوجة لي على سنة الله ورسوله وهي كذلك تعتبرني زوجا لها؟

الجواب: ليس من حق الآباء على الابناء ان يجبروا ابناءهم او بناتهم على الزواج بمن يكرهون او يكرهن كما ان تهديد ابيك لك بالحرمان من الميراث ان انت تزوجت بالمراة التي ذكرتها في سؤالك هو تهديد لا معنى له شرعا فانت وارث لابيك كبقية ورثته ان مات قبلك احب ذلك ام كره في حياته والدليل ايها السائل الكريم على ان الآباء ليس لهم الحق شرعا في ان يجبروا ابناءهم او بناتهم على الزواج بمن يكرهون او يكرهن هو ما ورد في الحديث الشريف وهو ما رواه عبد الله بن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فتاة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله **(ا ن ابي زوجني ابن اخيه ليرفع بي خسيسته أى حقارته فجعل عليه السلام الامر إليها وقال اتريدين ان تردّي تزويج ابيك لابن اخيه؟ فقالت الفتاة لا اني اجزت ما صنع ابي**

ولكن اردت ان تعلم النساء ان ليس لآبائهن الحق في ان يجبروا بناتهم على الزواج بمن يكرهن من الرجال) رواه ابن ماجة في سننه، ذكره الشوكاني في نيل الاوطار ج6 ص136 وبهذا الحديث الشريف أخذ الامام أبو حنيفة والحنابلة في رواية عن الامام احمد واذا لم يكن للآباء الحق في ان يجبروا بناتهم على الزواج بمن يكرهن ولو كن ابكارا فمن باب أولى وأحرى ان لا يجبروا أولادهم الذكور على الزواج بمن يكرهون من النساء

* أما علاقتك أيها السائل الكريم بهذه المرأة ومعاشرتك لها كزوجة فهي علاقة غير شرعية لا يبيحها الإسلام فأنتما تعتبران زانيان آثمين فهذه العلاقة التي بينك وبين هذه المرأة التي ذكرتها في سؤالك والمعاشرة التي بينكما هي معاشرة ليست من باب الزواج العرفي الذي فيه اشهاد وايجاب وقبول غير انه لا يحرر في ذلك عقد كتابي من طرف عدلي الاشهاد أو المكتب البلدي، وحتى الزواج العرفي فهو ممنوع شرعا وقانونا لانه تضيع بسببه عدة حقوق: النسب الصحيح والتوارث بين الزوجين والتوارث بين الابوين والابناء وعليه أيها السائل الكريم فعفا الله عما سلف وبادر بعقد الزواج بينك وبين المرأة التي ذكرتها في سؤالك او فارقها حالا والا فانت واياها زانيان آثمان والزواج الذي يحلله الإسلام هو ما ورد في قوله ﷺ **(لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل)** رواه البيهقي والطبراني وبهذا الحديث الشريف أخذ الإمام مالك رحمه الله. والله الهادي إلى سواء السبيل .

من اخر إصدارات الأستاذ صالح العود

كتاب تعطير الكلام في سيرة شيوخ تونس الاعلام

تقديم الشيخ عبد القادر عاشور خطيب مسجد عمر بن الخطاب باريس

ترجم فيه الشيخ صالح العود

لاصحاب الفضيلة (محمد الحبيب النفطي ومحمد الطاهر الجوابي وعبد العزيز مزيد وعبد الرحمان الحفيان ومحمد بوالاجفان وعبد الرحمان خليف ومحمد الشاذلي النيفر ومحمد الهادي الكشك ومحمد محفوظ وجلول العرافة رحمهم الله)

جزى الله خيرا الأستاذ صالح العود على وفائه وجهوده في التعريف باعلام تونس.

البيان الختامي للمؤتمر 36 للسيرة النبوية المشرفة

السبت 08 ربيع الأول 1445 – الموافق 23 سبتمبر 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن والاه

تحت رعاية كريمة من فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني حفظه الله، وبدعوة كريمة من التجمع الثقافي الإسلامي بموريتانيا وغرب افريقيا بالتعاون والشراكة مع رابطة العالم الإسلامي، انعقد بمدينة نواكشوط أيام 7-8 ربيع الأول 1445هـ/ 23-24 سبتمبر 2023م المؤتمر الدولي للسيرة النبوية في نسخته السادسة والثلاثين.

وقد دارت أعمال المؤتمر تحت عنوان:

«دور العلماء والمشايخ في إصلاح ذات البين وتعزيز الروابط الإسلامية بين الشعوب والأمم -إفريقيا نموذجا»

وذلك بمشاركة نخبة من العلماء والقيادات الدينية والأكاديميين القادمين من 55 دولة تتوزع بين إفريقيا وآسيا وأوروبا والآمريكتين.

وقد تميز المؤتمر بكلمة افتتاحية ألقاها فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية السيد محمد بن الشيخ الغزواني رحب فيها بالضيوف وذكر بأن أهل هذه الأرض (موريتانيا)، جبلوا على صادق محبة المصطفى عليه الصلاة والسلام، والتشبث بسنته، والعناية بها، تبليغا، ودرسا وتدريسا. كما جبلوا على الاحتفاء بسيرته العطرة التي هي تعبير حي عن حقيقة ومقاصد رسالته السمحة، في سمو معانيها، ونقاء قيمها الخالدة. ودعا فخامته العلماء والمشايخ وقادة الرأي إلى أداء دور محوري، في العمل على رأب الصدع والتقريب بين الأمم والشعوب، ونشر قيم التآخي والتعاضد، وتبني إرادة مشتركة في التعايش، قوامها الإنصاف، والتسامح، والاعتدال، وتقبل الاختلاف، والتعاون، في تآخ وتعاضد. وقال إن ما هو باد للعيان، في قارتنا، والعالم إجمالا، من عنف وتطرف وإرهاب، ومن اضطرابات اجتماعية

ونزاعات مسلحة، تنشر الخراب في الأرض، وتهدد استمرارية الدول والمجتمعات، إنما يعود، في جزء معتبر منه، إلى غياب هذه القيم في المسلكيات الاجتماعية، وفي علاقات الدول والشعوب، بعضها ببعض.

وقد تحدث في حفل الافتتاح ضيف الشرف صاحب الفضيلة والمعالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ورئيس هيئة علماء المسلمين، فتحدث عن السيرة النبوية العطرة وما تجلى فيها من الاتساق بين قيمها التربوية (في نشأتها الأولى)، وقيمها التشريعية بعد نزول الوحي، وما جمعت من قيمَ الاعتدالِ في القول والعمل، ولاسيما السماحةَ والعفو، واللينَ والقصدَ والحكمةَ، وتأليفَ القلوب والرأفةَ بها، إلى غير ذلك من معاقد السعادةِ في الدنيا والآخرة. وقال سماحته إن بعض المحسوبين على الإسلام ما ضلوا عن شيء، مثلما ضلوا عن هديه الكريم صلى الله عليه وسلم، فكان الجهلُ، وكان الصَّلَفُ، وكانت الأهواء والنِّحَلُ والأباطيل، وكانت قِطَعٌ مُدْلهمة من الفتن والشبهات، فزاغ بذلك من زاغوا عن المحجة البيضاء فهلَكُوا وأهلكوا.

وفي كلمته توجه صاحب الفضيلة الشيخ محمد الحافظ النحوي رئيس التجمع الثقافي الإسلامي في موريتانيا وغرب إفريقيا بخالص الشكر إلى فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية الذي جسد بحضوره ورعايته للمؤتمر ما هو معلوم عنه من الاهتمام بالدين وبالعلم والعلماء، وما يحركه من دوافع المحبة للجناب النبوي الشريف والغيرة له، مشيدا بما قدم من خدمات للعباد والبلاد، وبما هو متاح لموريتانيا تحت قيادته وبفضل ما تختزنه من مراكز القوة والتأثير الروحي من فرص للمساهمة في إطفاء نيران الحروب وإصلاح ذات البين. وذكر الشيخ النحوي بالمقاصد التي أطلق على أساسها هذا المؤتمر منذ 36 عاما بحمد الله، وخلاصتها غرس محبة النبي صلى الله عليه وسلم في القلوب لتثمر طاعة واتباعا ولتوجه مسار الأفراد والمجتمعات ومسار الأمة كلها في معالجة التحديات المعاصرة التي تواجهها.

وقد تناول المؤتمر موضوعه من خلال محورين فرعيين خصصت جلستان لكل منهما، وهما:

- الحلول الإسلامية للصراعات في ضوء الهدي النبوي- موجهات وتجارب عامة،
- والصراعات في إفريقيا .. الأسباب والحلول في ضوء الهدي النبوي.

واستعرض المشاركون من خلال المحورين الأساليب المتنوعة لتمثل الهدي النبوي والسيرة العطرة لسيد الأنبياء والمرسلين وما يستفاد منها من الدروس والعبر، وتمثلها في واقع الأمة أفرادها وجماعاتها ومؤسساتها، والنماذج والتجارب المتعددة والحلول الواقعية المعينة على جمع الكلمة ووحدة الصف، وحل الصراعات، وفض

النزاعات. وأبدى المشاركون قلقهم من توسع حملات الإساءة إلى الإسلام، وتصاعد موجات الغلو والعنف، داعين إلى التعاون والتعاضد بين العلماء والعقلاء والمصلحين في محاربة التعصب ومكافحة خطابات الكراهية والتفرقة.

وعبر المشاركون في المؤتمر عن تعزيتهم لأسر الشهداء وتعاطفهم مع المنكوبين وتضامنهم الكامل مع الأشقاء في المملكة المغربية ودولة ليبيا في هذا الظرف العصيب الذي تعيشانه إثر الزلزال الذي ضرب بعض مناطق المغرب والفيضانات التي غمرت بعض مناطق ليبيا، داعين الأمة بكل قواها للوقوف مع هؤلاء الأشقاء، ومنادين بتحويل المحنة إلى منحة بمزيد من التعاون والتكاتف ورص الصف ووحدة الكلمة وإعادة البناء والإعمار.

هذا، وقد صادق المشاركون في المؤتمر على اعتماد كلمة فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني كلمة مرجعية للمؤتمر، وأشادوا برعاية فخامته للمؤتمر وبما تؤديه موريتانيا بقيادته من دور مشهود في نشر الإسلام والإشعاع بثقافته وقيمه السمحة.

كما توجه المشاركون بالشكر الخالص لرابطة العالم الإسلامي ممثلة في أمينها العام صاحب السماحة والمعالي الشيخ الدكتور محمد بن عبد الكريم العيسى مشيدين بكلمته التي شكلت وثيقة أساسية من وثائق المؤتمر، شاكرين للرابطة بقيادة سماحته عملها الدؤوب للربط بين أبناء الأمة وسعيها للإصلاح والتجديد في مناهج الدعوة وحسن البلاغ عن الله ورسوله، منوهين في هذا الصدد بالتعاون بين الرابطة وبين التجمع الثقافي الإسلامي في موريتانيا وغرب إفريقيا، داعين لتعزيز هذا التعاون، مقدرين للتجمع الثقافي الإسلامي السنة الحسنة التي سنها وحافظ عليها طيلة مسيرته الحافلة بخدمة الحنيفية السمحة.

جاء نصر الله والفتح اقترب

قال الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

هبت الريح فمن يسكنها — وحريق هائل سوف يشب

فافعلي(صهيون) ما شئت غدا — يثار الليث اذا الليث غضب

ردد الثائر في اعماقه — جاء نصر الله والفتح اقترب

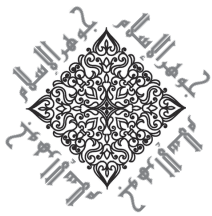

إعلان نواكشوط لإصلاح ذات البين وفض النزاعات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ صلى الله وسلم على الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين

شهدت البشرية في تاريخها الطويل صراعات كثيرة متعددة الأشكال والألوان والأعراق، كان لكل عرق بشري ولكل ملة من الملل ولكل قطر من الأقطار منها نصيب، وكانت أشد الحروب فتكا حروبا نشأت ونشبت في بلدان غير مسلمة. ومع ذلك فإن جل الصراعات التي تنخر في الجسم البشري اليوم، والتي تحظى بتغطية واسعة من الإعلام السيار، هي صراعات تقع في البلدان الإسلامية أو حولها. وقد كان لإفريقيا – القارة المسلمة – من تلك الصراعات نصيب موفور، مقترن تأثرا وتأثيرا بحزمة المشكلات التي تعاني منها هذه القارة، والتي تجسد بها صورة بارزة من صور الأمة في حال الوهن بكل مظاهره، من أمية وفقر وبطالة وسوء تسيير، وضعف تدبير للموارد المائية وموارد الطاقة، وخصاصة في الأمن الغذائي، وسوء توزيع للثروات، وانفلات أمني، ونزاع عرقي وقبلي وطائفي، واصطراع سياسي، كل ذلك بالرغم مما تتمتع به إفريقيا من أرصدة معنوية ومادية كبيرة تؤهلها لتغيير واقعها؛ فهي معنويا أول دار للهجرة، وأول ركن يأوي إليه المسلمون الرواد في كنف ملك عادل لا يظلم عنده أحد.. وهي قارة مسلمة بامتياز بالنظر إلى نسبة المسلمين فيها مقارنة ببقية القارات، وهي قارة عامرة ماضيا وحاضرا بالعلماء والصالحين المصلحين الذين أبلوا بلاء حسنا في نشر قيم الإسلام السمحة وفي توحيد القبائل والشعوب تحت لوائه. وهي ماديا حلقة وصل استراتيجية بين قارات المعمورة، ومخزن عامر بثروات طبيعية كثيرة وكبيرة، بإمكانها أن تخرج الأفارقة وغيرهم من وهدة العوز، وأن تكون سببا في الاجتماع والانتفاع المشترك والنماء بدل أن تكون سببا في الفقر والاصطراع وإراقة الدماء.

في هذا السياق القاري الخاص، وفي ما يتصل به من سياق عام دولي، في عالم يموج بالصراعات الحادة والعصبيات الضيقة، يتعين على المسلمين في إفريقيا وفي قارات العالم أن يرهفوا أسماعهم لرسالة ربهم وهو يناديهم جل في علاه:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾؛ ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ

في هذا العالم الذي تختلط فيه أصوات كثيرة غير متناغمة، يتعين على المسلمين في إفريقيا وفي العالم أن يرهفوا أسماعهم ليلتقطوا صوت نبيهم، نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، ويستشرفوا حركته ويتأملوا رسالته التي وجهها إليهم وإلى البشرية، وهو ينادي محذرا من العصبية: «**دعوها فإنها منتنة**»، وهو يحذر من الاحتراب البيني: «**أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»، وهو يمثل الأمة بالجسد الواحد، وهو يسن نظام المؤاخاة، وهو يضع أول دستور لتعايش المتساكنين المتباينين في معتقداتهم، وهو يبرم عقود الصلح مع من يقبلون الصلح ويجنح للسلم مع من يجنحون لها، وهو يضمد الجراح ويرأب الصدع ويعفو ويصفح، وهو يشكل من القبائل المتنازعة والأعراق المتنابذة أمة واحدة، تقترن وحدتها في الموقف والموقع بوحدة الرب المعبود ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾.

وإذا كان ذلك واجبا فرديا لكل مسلم، فإنه من باب أولى واجب أولي الأمر ومنهم العلماء والمشايخ والدعاة وصناع الرأي الذين يمسكون بأَزِمَّةِ القلوب، فإنه يفترض في هؤلاء أن يكونوا القوة الضاربة الناعمة التي تفتح القلوب وتتألف النفوس، وتصلح بالكلمة الطيبة والسعي الحميد والعمل الصالح وسلطان البرهان والبيان ما يفسده اللسان والسيف والسنان.

وفي هذا الشأن، وبالرجوع إلى تعاليم الدين الحنيف، وباستحضار ما جاء في وثيقة مكة المكرمة من مبادئ تبرز دور العلماء والقيادات الدينية في ترسيخ التعارف والتعاون وإصلاح ذات البَين، وتأييد مبادرات الحوار والتعايش وتعزيز المشتركات، فإنه مما ينتظر من رابطة العالم الإسلامي التي يمثل إعلان نواكشوط هذا ثمرة من ثمرات سعيها الحميد المشترك مع التجمع الثقافي الإسلامي بموريتانيا وغرب إفريقيا أن تتعاون مع التجمع ومع جميع الهيئات المعنية والمهتمة لمواصلة سعيها الدؤوب في تفعيل دور علماء الأمة ومشايخها في إصلاح ذات البين وفض النزاعات، وذلك عبر الأساليب والآليات التالية:

أولا – تشكيل لجنة من دعاة الإصلاح وسعاة الخير أصحاب الكلمة المسموعة، فقهاء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، من دول عديدة، تناط بهم مهمة السعي

العاجل في إصلاح ذات البين في عدد من بؤر التوتر والنزاع في القارة، على أن يمتد هذا المسعى إلى القارات الأخرى، بمشاركة شخصيات مرجعية دينية مؤثرة في كل ساحة مستهدفة.

ثانيا – العمل على تشكيل لجنة من العلماء والمشايخ المؤثرين في كل قطر من أقطار الأمة، بل وحيث توجد مجتمعات مسلمة معنية، تكون مهمتهم السعي لإصلاح ذات البين وفض النزاعات المحلية، بكل ما هو متاح من أساليب الوقاية والعلاج.

ثالثا –السعي لدى الحكومات لمراجعة المناهج التربوية وتعزيز التربية القِيمِيَّة بشكل خاص وجعلها أداة لصياغة الرؤى والمواقف وتقويم السلوك وفق ما يقتضيه الهدي النبوي من رحمة وإخاء ودعوة للوحدة ونبذ للتفرقة والعصبيات الضيقة. وفي هذا الصدد، من المهم أن تسعى الرابطة بالتعاون مع هيئات العمل الإسلامي المشترك إلى بناء نموذج للتربية القِيمِيّة تستنير به الدول والمجتمعات المسلمة في بناء مناهجها الخاصة.

رابعا – العمل على غراسة قيم الوحدة والتآخي والإنصاف في مسائل الخلاف وذلك بتحسين وتطوير مناهج تدريس السيرة النبوية العطرة، واستخدام كل الأدوات والقنوات المناسبة لهذا الغرض (المدارس، الجامعات، المنابر الدعوية والإعلامية، وسائط الاتصال الحديثة، إلخ).

خامسا –تطوير منهاج خاص جامع لتكوين الدعاة والخطباء، يجمع بين المتاح من الأصلين (الكتاب والسنة) وبين استنطاق التجارب السابقة والراهنة التي نجحت في إدارة التنوع العرقي والعقدي والمذهبي وغيرها من أنماط التنوع البشري.

سادسا – السعي لتوفير مرجع جامع يستفاد منه في صياغة مناهج الدعوة والتربية القِيمِيِّة ويتعين السعي لإعداد موسوعة علمية ترصد المبادئ والموجهات العامة والتجارب العملية القديمة والحديثة في حل الصراعات وإصلاح ذات البين وتعزيز الصلات بالاستفادة من هدي النبي الكريم وسيرته العطرة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

سابعا – العمل على معالجة جذور الداء في جوانبه المتأتية من ردود أفعال غير منضبطة تجاه أطراف خارجية، وذلك بتحصين البيت الداخلي وتفعيل آليات التضامن الإسلامي، والسعي الجاد مع الدول غير الإسلامية ومع المنتظم الأممي لسد منابع الاستفزاز والحيف والغلو والغلو المضاد واتخاذ ترتيبات حاسمة تضبطها اتفاقيات دولية لتجريم الإساءة إلى المقدسات.

حرر في نواكشوط بتاريخ 8 ربيع الأنور 1445هـ/ 24 سبتمبر 2023غ

المشاركون في المؤتمر

توصيات الدورة 18 للملتقى العالمي للتصوف

مذاغ (المغرب) 29ـ9ـ2023 الذي انعقد بدعوة من الطريقة القادرية البودشيشة

– الدعوة إلى إنشاء ميثاق قيمي عالمي حول المواطنة الشاملة بصيغتها الكونية التي تراعي خصوصيات المجتمعات المعاصرة، وفق ما تقتضيه أحوال التنوع التي تنبني عليها، ضمن سياق قيمي إنساني تشاركي يضمن التعايش للجميع وفق أساس من الاحترام المتبادل

– ضرورة تطوير قطاع الإعلام بكل أنواعه وأقسامه للانخراط في نشر القيم الدينية والوطنية البانية للتنوع والتعايش، مع ضرورة استثمار منصات التواصل الاجتماعي من أجل خلق حالة من الوعي لدى الشباب وتحليتهم بهذه القيم.

– افساح المجال أكثر للقيم الدينية والوطنية في بناء شخصية المتعلمين في مجال التعليم وفق رؤية متجددة ومستشرفة للآفاق، لما لذلك من آثار على التنمية وانخراط الشباب الإيجابي في بناء المجتمع.

– تعزيز أواصر التعاون بين الطرق الصوفية لتمتين جهودها في توجيه المجتمع وتحليه بالقيم الدينية المؤسسة للتدين الوسطي المعتدل الذي يجمع بين القيم الدينية والوطنية.

– تشجيع مؤسسات المجتمع المدني على الانخراط الجاد والفاعل في ترسيخ القيم الوطنية عبر مشاريع عملية وواقعية تراعي البعد الوطني والتنموي.

– الإسهام في ألا تصير الأديان أدوات للفرقة وسببا للتمييز بين خلق الله ومبررا لبث خطاب الكراهية في المجتمعات التي باتت متعددة الثقافات والأديان أكثر من أي وقت مضى.

وتخللت هذه الجلسة الختامية وصلات من السماع والمديح الصوفي لمسمعين من داخل المغرب وخارجه، وعرض عدة أشرطة متنوعة منها شريط يوثق لأنشطة الملتقى لهذه السنة.

يشار إلى أن هذه الدورة امتدت على مدى سبعة أيام من 23 الى 27 من شهر شتنبر تحت شعار « **التصوف والقيم الدينية والوطنية من أجل تأسيس مواطنة شاملة**».

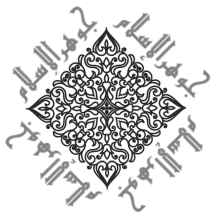

تقرير صحفي خارج الوطن:

بتاريخ صبيحة يوم الثلاثاء (8 جمادى الأولى 1445 = الموافق لـ 21 نوفمبر 2023)، كان مدير ورئيس تحرير مجلة (جوهر الإسلام) الغراء، على موعد حاسم مع معهد النور لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة جانْفِلْيِيهْ بضواحي العاصمة باريس.. كي يحاضر فضيلته في جموع الكثرة من الطلّاب والطالبات «الإناث»، الذين استعدّوا بهمة وعناية لسماع محاضرة الأستاذ المفكّر: السيد محمد صلاح الدين المستاوي حفظه الله دوْمًا ورعاه جمًّا...

كانت المحاضرة بعنوان: **القرآن الكريم: فضائل.. وأسرار**

وقد ركّز فيها الأستاذ مُوَجَّهًا كلامه البارّ إلى جُل الطلّاب والطالبات حول «كتاب الله العزيز»، وأشَارَ في الأثناء إلى ما ذكره الإمام النّووي رحمه الله في كتابه الشهير: (التبيان في آداب حملة القرآن)؛

ثم أعقبه بما جاء في كتاب: (المدخل للقرآن الكريم / للعلّامة الأستاذ علال الفاسي رحمه الله وأحسن مثواه).

ثم توقّف الأستاذ المستاوي حفظه الله طويلا عند مَسِيرَة الشيْخَة: الدكتورة عائشة عبد الرحمن رحمها الله، ومدى عنايتها بالقرآن الكريم، وما حبّرتْه بهذا الخصوص وأخرجتْه في كتاب مطبوع بعنوان (التفسير البياني للقرآن الكريم).

وفي ختام محاضرته القيّمة التي دامت ساعة إلا ربع، لفَتَ انتباه «الطالبات» بالذات إلى الاقتداء بها، واتخاذها أنموذجا، والسيْر على نهجها في حبها وعنايتها واشتغالها بالقرآن الكريم حتى وافاها أجلها راضية مَرْضية بمصر في عام (1419هـ = 1998م).

ثم تقدم مرافقُه الشيخ صالح العَوْد –(المقيم بفرنسا منذ عقود طويلة) – فألْقى كلمة خَتَمَ بها هذا اللقاء الميمون، وكانت بعنوان: (القرآن الكريم ومراحله الثلاث: سماعًا.. ثم قراءةً.. ثم حفْظًا..).

وقد فصّل الحديث في كل مرْحلة منها تفصيلًا حسنا، مدعّمًا بالنصوص الشرعية: من الكتاب والسنّة، ونُقُول الأئِمَّة، وأقوال علماء الأمة... فجَاءَ الحديثُ في ذلك برْدًا وسلامًا على الحاضرين جميعهم؛ ثم توقف الهُوَيْنَا فيما يخص الحفظ، وأنّ له إقبالا كثيرا من جميع الفئات والأعمار، وفي كل مكان: مساجد.. ومدارس.. وزوايا.. ونَقَل في الموضوع ما عقده الامام النووي في كتابه القيّم:

(رياض الصالحين/ ص382 بابُ الأمر بتعهّد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان).. وَأورد فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«إنما مَثَلُ صَاحِب القرآن، كمثل الإبِل المُعَقَّلَة، إنْ عاهَدَ عليها أمْسَكها، وإنْ أطلقها ذهَبَتْ» متفق عليه.

ثم وُدِّعَ الضيْفَان بمثل ما استُقْبِلاَ به من طرف مديرة معهد النور لحفظ القرآن، والمشرفَة على الطالبات: السيدة الفاضلة والحازمة أم أنس حفظها الله وأعانها على خدمة القرآن ورعايته في بلاد الغرْب والاغتراب.

ص.أ.س

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بية

رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي

○ تنبيه المراجع في تاصيل فقه المقاصد ○ مشاهد من المقاصد
○ صناعة الفتوى وفقه الأقليات ○ مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات ○ سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات
○ توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال

الى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم بها فضيلته مؤتمرات منتدى أبو ظبي لتعزيز السلم و ملتقيات المؤتمر الافريقي لتعزيز السلم في نواك الشط بموريتانيا بارك الله في جهوده وامد في أنفاسه ونفع بعلمه الامة ودينهاانه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

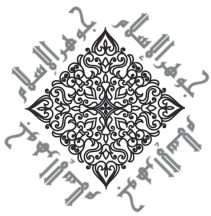

مالك بن نبي : شعب يقرا ...شعب لا يجوع ولا يستعبد ...

بقلم صالح الحاجة

للجزائر الف باب وباب وكلها ابواب خير وجمال وابداع وعقيدة وجهاد ... ويبقى مالك بن نبي احد اهم واكبر تلك الابوب... انه علامة مميزة من العلامات العظيمة الدالة على الجزائر ... وهو علامة انتماء واصالة ...وعراقة وارتباط وثيق لا يلين بالنبع الاول ... علامة عروبة وإسلام ...وجذور ممتدة في التاريخ والجغرافيا ... ولانصافه نقول انه كان شمعة مضيئة في القرن الذي مضى ...

شمعة عربية اضاءت من المحيط إلى الخليج ...

ولكن نورها كان اقوى واوضح في الجزائر موطنه الاصلي ....ثم في ليبيا زمن معمر القذافي ... احبه بومدين ..واحبه القذافي...

وتكررت معه محنة المثقف في صراعه مع السلطة ...فلا هو يطمئن للسلطة ...ولا السلطة تحترم حريته و«جنونه»...

ومن اقواله الخالدة :

شعب يقرا ...شعب لا يجوع ولا يستعبد ...

استشاره بومدين ذات مرة حول كيفية النهوض بالجزائرفقال له :

عليك بقطع دابر الخونة أولا، ثم خصص أكبر ميزانية في الدولة لقطاع التعليم حتى ولو كانت نصفها. فأجاب الرئيس بومدين: الشعب يعاني من الجوع ياسي مالك ويجب تخصيص أكبر ميزانية للدفاع وللجيش حتى لا نستعمر. فردعليه فيلسوف الحضارة قائلا: «شعب يقرأ... شعب لا يجوع ولا يُستعبد»

baᶜat Najâh al-Jadîda.

- Ibn ᶜAbbâd Abû ᶜAbd-Allâh Muhammad b. Ibrahîm, 1320/1902, *al-Rasâ'il al-Kubrâ* - Fès, éd. lith.
- Ibn ᶜAbbâd Abû ᶜAbd-Allâh Muhammad b. Ibrahîm, 1974, *al-Rasâ'il al-sughrâ,* 2eme éd., éd. Paul Nwiya, Beyrouth, Dar el-Machreq.
- Ibn ᶜAbbâd Abû ᶜAbd-Allâh Muhammad b. Ibrahîm, 1380/1970, *Gayth al-mawâhib al ᶜaliyya fî sharḥ al-Ḥikam al-ᶜata'iyya,* éd. ᶜAbd-al-Ḥalîm Maḥmûd et Maḥmûd b. alSharîf, Le Caire, éd. al-Saᶜâda.
- lbn ᶜAjîba Aḥmad b. Muhammad, 1983, *Îqâz al-himam fî sharḥ al-Ḥikm,* ed. Muhammad Aḥmed Ḥasb Allâh, Le Caire, Dar al-Maᶜârif.
- Ibn ᶜAjîba Aḥmad b. Muhammad, 1315 H, *Tajrîd ishârât: sharḥ ᶜalâ matn ajrûmiyya,* éd. Aḥmad al-Kûhin, Le Caire, Dar al-Ṭibâᶜât al-ʿAmîra.
- Ibn ᶜAyyâd Aḥmad b. Muhammad al-Shâfiᶜî, 1315/1889, *al-Mafâkhir al-ᶜiliyya fî al ma'âthir al-shâdhilliya,* Le Caire, al-Maṭbaᶜat al-ʿAmira al-Sharqiyya.
- Ibn al-Qâḍî Ahmad b. al-Qâḍî al-Meknesî, 1393/1973, *Al-iqtibâs fî dhikr man halla min al-ᶜalâm madînat Fâs,* s. éd., Rabat, Dâr al-Mansûr li-1-Ṭibâᶜa wa al-Warrâqa.
- Kattânî Muhammad b. Jaᶜfar al-, 1316/1896, *Salwat al-anfâs wa muhâdathat al-akyâs bi man uqbira min al-ᶜulamâ' wa al-ṣulahâ' bi Fâs* -- Fes: éd. lith., 3 vol.
- Sarrâj Yaḥyâ, al-, *Fahrasat al-imâm al-ḥâfiẓ Abî Zakriyâ Yaḥyâ b. Aḥmad al-Sarrâj*, éd. Naᶜîma Bennîs, Tanjier : Dâr al-Ḥadîth al-Kattâniyya, 2013.
- Tâdilî al-Sawmaᶜî: Aḥmad al-, 1996, *Kitâb al-muᶜzâ fî manâqib al-shaykh Abî Yaᶜzâ,* éd. ᶜAlî al-Jâwî, Rabat, Éd. al-Maᶜârif al-Jadîda, Université Ibn Zuhr. Pub. de la Faculté des lettres et sciences humaines, M. 6.
- Tumbuktî Aḥmad Bâbâ al-, 1398/1989, *al-ibtihâj bi tatrîz al-dîbâj,* éd. ᶜAbd-al-Ḥamîd ᶜAbd-Allah al-Harrâma, 1re éd, Tarâblus, s. éd., 2 vol.
- Tumbuktî Aḥmad Bâbâ al-, 2000, *Kifâyat al-muḥtâj li maᶜrifat man laysa fî al-dibâj,* éd. Muhammad Mutîᶜ, Rabat, Ministère Awqâf, 2 vol.
- Wansharîsî Aḥmad b. Yahyâ, 1401/1981, *al-Miᶜyâr al-muᶜrib wa al-jâmiᶜ al-mughrib ᶜan fatâwî ahl Ifrîqîya wa al-Andalus wa al-Maghrib,* éd. M. Hajjî, Beyrouth, Dar al Gharb al-Islâmî, 13 vol.
- Zarrûq Aḥmad b. Aḥmad b. Muhammad, 1412/1992, *Qawâᶜid al-taṣawwuf,* éd. M. Zahrî al-Najjâr et A. M. Farghalî, Beyrouth, Dâr al-Jîl.
- Zarrûq Aḥmad b. Aḥmad b. Muhammad, 1391/1971, *Sharḥ al-Ḥikam al-ᶜata'iyya,* éd. Aḥmad Zakî ᶜAtiyyah, Le Caire, al-Maṭbaᶜat al-Thaqâfiyya.
- Zarrûq Aḥmad b. Aḥmad b. Muhammad, s.d., *Sharḥ al-Ḥikam al-ᶜata'iyya*, éd. Muhammad b. Sharîf, Beyrouth, Manshûrât al-Maktabat al-ᶜAsriyya, 2 vol.
- Zarrûq Aḥmad b. Aḥmad b. Muhammad, 1419/1998, *ᶜUddat al-murîd al-sâdiq,* éd. Idrîs ᶜAzûzî, Muhammadiyya, Maṭbaᶜa Fadâla, Rabat, Ministère Awqaf.
- Zarrûq Aḥmad b. Aḥmad b. Muhammad, 1315/1889, *Usûl al-ṭarîqah wa usus al-haqîqah,* in Ibn ᶜAyyâd Aḥmad b. Muhammad al-Shâfiᶜî, *al-Mafâkhir al-ᶜIliyya,* p. 94-96.

Bibliographie

Sources manuscrites

- ᶜAbdarî al-Mawwâq Muhammad b. Yûsuf al-, *Sunan al-muhtadîn,* Ms. personnel, s.d., fol. 1a-113b.
- Bannânî Muhammad al-Mahashshî al-, *Fahrasat al-Mahashshî al-Bannânî,* Ms. personnel. s.d., fol. 1a.- 2a.
- Fâsî al-Fihrî ᶜAbd al-Qâdir al-, *Fahrasat sayyidî ᶜAbd-al-Qâdir b. ᶜAlî al-Fâsî al-Fihrî,* Ms. personnel s.d., fol. 1a - 47a.
- Ibn ᶜAbbâd Muhammad, *Nuzhat al-nâzir al-muta'ammil wa qayd al-sâ'ir al-mustaᶜjil (al Rasa'il al-Kubrâ),* Ms. B. Royale, Rabat., no. 2437, 967/1560, fol. 3b-168b.
- Ibn al-Sakkâk Muhammad, *Kitâb istinzâl al-laṭâ'if al-ridwânîya bi Sharḥ al-qasîda alMahammadîya,* Ms. E. 384.
- Ibn al-Sakkâk Muhammad, *Uslûb min al-kalâm ᶜalâ lâ hawla wa lâ quwwata illâ bi-llâh,* Ms. B. Escurial, 384, 914/1508, fol. 59a-133b.
- Kûhin Aḥmad Abû Hîda al-, *Fahrasa Aḥmad Abî Hîda al-Kûhin,* Ms. personnel, s.d., fol. la. 2b.
- Sarrâj Yahyâ al-, *Fahrasa Yahyâ al-Sarrâj,* Ms. personnel, s.d., fol. 51a - 63a.

Imprimés en langues européennes

- lbn ᶜAta' Allah, 1998, *La sagesse des maîtres soufis. Laṭâ'if al-minan,* Trad. Eric Geoffroy, Paris, Grasset.
- Ibn Khaldûn, 1991, *La voie et la loi ou le maître et le juriste* (*Shifâ' al-sâ'il wa tahdhîb al masâ'il*), Trad. René Peréz, Paris, Éditions Sindbad.
- Khushaim A., 1976, *Zarrûq the Sufi,* Tripoli, General Company of Publication.
- Michon J.-L., 1973, *Le soufî marocain Aḥmed Ibn ᶜAjîba et son Miᶜrâj : glossaire de la mystique musulmane,* Paris, Vrin.
- Nwyia P., 1961, *Ibn ᶜAbbdd de Ronda (1332/1390). Un mystique prédicateur* à *la Qarawîyîn de Fès,* Beyrouth, Imp. Catholique.
- Nwyia P., 1972, *Ibn ᶜAtd' Allah (m. 709/1309) et la naissance de la confrérie shâdhilite.* (éd. Arabe des *Ḥikam d'Ibn ᶜAta'Allah),* Beyrouth, Imp. Catholique.
- Renard J., 1986, *Ibn ᶜAbbâd of Ronda Letters on the Sufi Path,* Intro. et trans. *ar-Rasâ'il al Sughrâ,* New York, Paulist Press.
- Sqalli Houssini Saida, 1992, *Les lettres d'Ibn ᶜAbbdd de Ronda au sultan Abû Fâris et le nush mulûk al-Islâm d'Ibn as-Sakkâk.* Thèse de doctorat, dir. A.-L. de Prémare, Aix en-Provence, Université de Provence.

- **Imprimés en arabe**

- Dhahabî Nafîsa al-, 2001, *al-Zâwiyat al-fasîya: al-tatawwur wa al-adwâr hattâ nihâyat alᶜahd al-ᶜalawî al-awwal,* Casablanca, Maṭbaᶜat al-Najâh al-Jadîda, p. 205-213.
- Fâsî Muhammad al-ᶜArabi al-, 2003, *Mir'at al-maḥâsin min akhbâr al-shaykh Abî al Maḥâsin,* éd. Al-Sharîf Muhammad Hamza b. ᶜAlî al-Kattânî, Casablanca, Maṭ-

faqîh et un disciple de Mulay al-ᶜArabi al-Darqâwî. Il écrit dans sa *Fahrasa:* « Il [al-Darqàwî] m'a fait connaître les *Ḥikam* et le Commentaire d'lbn ᶜAbbâd al-Nafzî ».(14) Ceci prouve non seulement qu'un « juriste » a inclus les travaux d'un maître soufi tel qu'Ibn ᶜAbbâd dans sa *Fahrasa,* mais aussi que cinq cents ans après la mort d'lbn ᶜAbbâd, celui-ci était encore révéré et ses enseignements toujours étudiés et cités par les cheikhs soufis tardifs.(15)

Vers le début du dix-septième siècle à Fès, ᶜAbd al-Wâḥid Ibn ᶜÂshir al-Anṣârî al Andalusî (m. 1040/1631)(16) composa ce qui est devenu le livre le plus mémorisé au Maroc, après le Coran. Cette œuvre courte dont le titre est *Le guide pour faciliter la connaissance religieuse* (*al-Murshid al-muᶜîn alâ al-darûra fî ᶜulûm al-dîn*) représente une étape majeure dans l'intégration du soufisme dans les textes classiques de jurisprudence islamique. C'est un poème didactique *(urjûza)* qui comporte trois parties : le credo (*ᶜaqîda),* la pratique rituelle selon le rite malékite, et le soufisme. Cette intégration du soufisme dans d'autres domaines principaux du savoir islamique allait de pair avec l'adoption des *Ḥikam* et de ses commentaires par les groupes de *fuqah*â' dans des centres d'enseignement tels que la Qarawîyîn de Fès et la Zaytûna de Tunis.(17) Ainsi *al-Murshid al-muᶜîn* introduisit une forme plus intellectuelle de soufisme qu'on pourrait appeler « soufisme urbain », dans des centaines d'écoles coraniques rurales. Cette intégration finale du soufisme dans le milieu des *ᶜulam*â*'* fut en partie le fruit de l'acceptation, par les *fuqah*â' des œuvres d'lbn ᶜAbbâd au long des deux siècles et demi qui précédèrent *al-Murshid al-muᶜîn*(18) L'influence d'lbn ᶜAbbâd a donc été aussi importante, quoique plus indirectement, dans le domaine des sciences islamiques exotériques que dans celui des sciences ésotériques.

---

(14) *Fahrasa* ᶜAbd al-Qàdir al-Kûhin, ms. personnel, origine Fès, s.d., fol. lv.

(15) Cela est encore vrai aujourd'hui. Dans de nombreuses branches de la Shâdhiliyya, au Maghreb comme au Proche-Orient, lbn ᶜAbbâd est encore étudié et très cité.

(16) *Shajarat al-nûr al-zakiyya,* p. 299, *Salwa,* II, 274-76.

(17) Paul Nwyia insiste sur ce point: « Les *Ḥikam* ont été lues, méditées, « ressassées », comme dit J. Berque non seulement dans les siècles passés, mais aujourd'hui encore. Objet de nombreux commentaires, elles ont été aussi adoptées comme manuel d'enseignement soufi à la Qarawîyîn comme à al-Azhar, à Tunis comme à Damas» (P. Nwyia, 1972, p. 36).

(18) Notons que le cheikh algérien Aḥmad al-ᶜAlawî (m. 1934) a composé un commentaire ésotérique du *al-Murshid al-muᶜîn*: *al-Minah al-quddûsiyya*, éd. à Mostaganem (1985) et à Beyrouth (1986) ; et plus récemment les œuvres complètes du Cheikh al-ᶜAlawî, ont été publiées en 6 volumes. Le *al-Minah al-quddûsiyya* se trouve dans le troisième, cf. : Al-Aᶜmàl al-kâmilah l-lᶜârif bi-llâhi al-shaykh Aḥmad Muṣṭafâ al-ᶜAlawî al-shahîr b-« Ibn ᶜUlaywa », éd. ᶜAbd al-Raḥmân al-Shaᶜᶜâr et Mâhir al-Labâbîdî, Beyrouth, Kanz Nâshirûn, 1444/2023.

qu'il a étudiées avec le même maître sont toutes des œuvres classiques du *fiqh,* telles que *al-Tahdhîb, Mukhtasar Khalîl, al-Mudawwana, alUmm, al-Muwaṭṭâ*, etc.[5]

ᶜAbd al-Qâdir b. ᶜAlî al-Fâsî al-Fihrî (m. 1091/1681)[6] de l'éminente famille al Fâsî, était un savant réputé et avait hérité de la *Ṭarîqa Shâdhiliyya* à Fès. Sa *Fahrasa* contient les premières références aux chaînes de transmise sion le reliant par Yaḥyâ al-Sarrâj à Ibn ᶜAbbâd, et Ibn ᶜAbbâd à al-Shâdhilî par Abû Isḥâq Ibrâhîm al-Amawî al-Rundi.[7] À la fin de sa *Fahrasa,* un disciple mentionne qu'il a étudié *al-Tanwîr* d'Ibn ᶜAta' Allah et le Commentaire d'Ibn ᶜAbbâd avec son maître ᶜAbd al-Qâdir b. ᶜAlî al-Fâsî al-Fihrî.[8]

Muhammad al-Bannânî Mahashshî (m. 1194/1780)[9] de Fès était réputé pour sa connaissance érudite du *fiqh,* de la logique et de la grammaire arabe. Son nom signifie « l'écrivain aux gloses » car il était bien connu pour les annotations qu'il écrivait sur les œuvres classiques étudiées par les *fuqah*â' de son époque. Il est peut-être mieux connu pour son commentaire d'*al-Sullam,* livre de logique élémentaire. Parmi les œuvres qu'il a étudiées se trouvent celles d'Ibn ᶜAbbâd. Dans sa *Fahrasa*[10], il indique avec beaucoup de détails les deux chaînes *(sanad)* par lesquelles il a reçu les œuvres d'Ibn ᶜAbbâd. La première passe par Zarrûq ; la seconde est intéressante car elle représente une chaîne *f*âsî dans laquelle les associés proches d'Ibn ᶜAbbâd sont les principaux moyens de transmission de ses œuvres. On trouve dans le *sanad:* Saᶜîd al-Maqqarî (m. 1010/1620) par Ibn Qunfuḍ al-Qusantînî (m. 810/1408),[11] Sulaymân al-Anfâsî de Yûsuf b. ᶜUmar al-Anfâsî par le *shaykh al-ṭarîqa* Abî ᶜAbd Allah Ibn ᶜAbbâd ».[12] De nouveau nous pouvons voir combien les œuvres d'Ibn ᶜAbbâd devinrent des textes étudiés dans le milieu des *ᶜulama',* cette fois à Fès.

ᶜAbd al-Qâdir b. Aḥmad Abû Hîda al-Kûhin (m. 1254/1839)[13] était un

(5) Al-Balwî, *Tabat,* 187.

(6) Sur lui, cf. *Salwa,* 1/309-14 ; *Shajarat al-nûr al-zakiyya,* p. 314-315. Voir aussi Nafisa al-Dhahabî, 2001, p. 205-213.

(7) *Fahrasat ᶜAbd al-Qâdir al-Fâsî*, ms. personnel, origine Fès, s.d., fol. 40. Voir aussi P. Nwyia, 1961, p. 54.

(8) *Fahrasat ᶜAbd al-Qâdir al-Fâsî*, ms. personnel, origine Fès, s.d. fol. 43.

(9) Sur lui, cf. *Shajarat al-nûr al-zakiyya,* 295, 357, *Sa/wa,* I, 161-65.

(10) *Fahrasat al-Mahashshî al-Bannânî*, ms. personnel, origine Fès, s.d. fol. 1-3.

(11) Sur lui, cf. Ibn al-Qâḍî, 1973, p. 154-155 et les références qui y sont citées; *Kifâyat al-muhtâj,* I, 40. Voir aussi son autobiographie dans *Uns al-faqîr wa ᶜizz al-haqîr,* ed. M. al-Fâsî et A. Faure, Rabat, 1965.

(12) *Fahrasat al-Mahashshf al-Bannanf,* fol. 1 v.

(13) Sur lui voir *Shajarat al-nûr al-zakiyya,* p. 397. ᶜAbd al-Qàdir al-Kûhin recueillit dans une petite collection les extraits du commentaire soufi d'lbn ᶜAj1ba de *al-Ajurûmiyya,* un texte de grammaire élémentaire.

(m. 790/1388)[1] l'auteur des *Muwâfaqât,* traita de cette question avec Ibn ᶜAbbâd et Abu al'Abbas al-Qubbab (m. 778/ 1376), leur demandant leur point de vue. La polémique entre les *fuqah*â', en effet, était devenue presque violente, les uns et les autres se frappant avec leurs chaussures dans les mosquées d'Andalousie. Ibn ᶜAbbâd était ainsi devenu, parmi les ᶜ*ulam*â' et de son vivant, une autorité à laquelle on se reportait en matière de soufisme.

Muhammad b. Yûsuf al-ᶜAbdârî, connu sous le nom d'Ibn Mawwâq (m. 897/1492)[2] fut le dernier qâḍî de Grenade. Son livre *Sunan al-muhtadîn fî maq*âm*ât aldîn*[3] est un commentaire du verset 32 de la sourate *Fâṭir.* Cet ouvrage, l'un des derniers écrits de l'Espagne musulmane, traite des concepts d'intérêt général *(maṣlaḥa)* et de modération dans la définition des statuts légaux. Or Ibn Mawwâq cite Ibn ᶜAbbâd cinq fois dans ce livre et parle de lui comme le « commentateur des *Ḥikam* ». II rapporte l'anecdote suivante : « alors qu'Ibn ᶜAbbâd était prédicateur à la Qarawîyîn, on lui demanda s'il était permis d'avoir de la broderie en soie sur son turban (comme c'était le cas du turban d'Ibn ᶜAbbâd), à quoi Ibn ᶜAbbâd répondit : « C'est beau *(mulayy*àḥ*)* ». La mention de cette anecdote par un *faqîh* andalou montre qu'Ibn ᶜAbbâd était lu et révéré par les ᶜ*ulam*â' d'Espagne musulmane et du Maroc.

Abû l-Ḥasan ᶜAlî al-Qalsâdî al-Andalusî (m. 891/1486), lui, est connu pour être le dernier représentant des sciences islamiques traditionnelles d'al-AndaA lus. II étudia avec les savants les plus éminents de son époque. II avait des élèves en Andalousie et au Maroc. II est connu pour ses nombreux commene taires d'ouvrages de « fondements du droit » *(uṣul alfiqh),* et de grammaire arabe. Dans sa relation de voyage *(riḥlat),* il mentionne qu'il a étudié les *Ḥikam* et le Commentaire d'Ibn ᶜAbbâd â Tlemcen avec des savants réputés.

Abû Jaᶜfar Aḥmad b. ᶜAlî al-Balawî al-Wâdî Âshî al-Andalusî (m. 938/1532), un étudiant d'al-Qalsâdî et d'Ibn Mawwâq, rapporte dans son *Tabat*[4] qu'il a étudié les *Ḥikam* dans leur commentaire d'Ibn ᶜAbbâd avec un certain Saraqustî. Il est intéressant de remarquer que les autres œuvres

---

p. 190-204. Pour une traduction complète de ces lettres en anglais, voir J. Renard, 1986, p. 184-194. Voir aussi la réponse d'Ibn Khaldûn (m. 808/1406) à la même question dans son *Shifâ' alsâ'il wa tahdhîb al-masâ'il,* ed. M. Mutîᶜ al-Hâfiz, Beyrouth, 1996, p. 33-166, et R. Pérez, *La Voie et la Loi, traduction et* étude *sur Shifâ' al-sà'il,* Paris, 1991, p. 48-59.

(1) Ibrâhîm b. Mûsâ b. Muhammad, al-Lakhmî al-Shâtibî al-Gharnâtî, voir *Kifâyat al-muhtâj,* I, 153 et les références qui y sont citées.

(2) Sur lui, cf. Ibn al-Qâḍî, 1973, p. 319 et les références qui y sont citées.

(3) Muhammad b. Yûsuf al-ᶜAbdârî, *Sunan al-muhtadîn fî maqâmât aldîn*, éd. Hishâm b. Muhammad Ḥayjar al-Ḥasanî, Casablanca, Maroc : Dâr Ibn Ḥazm, 1431/2010.

(4) Edité par A. al-ᶜImrânî, Dar al-Gharb, Liban, 1983.

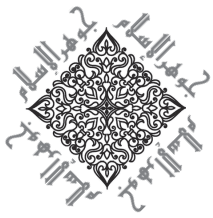

Ibn ᶜAbbâd, modelé de la Shâdhiliyya

By ᶜAbd al-Hâdî Honerkamp, University of Georgia, at Athens

In *La Shâdhiliyya - Une Voie Soufie dans le Monde,* éd. E. Geoffroy (Paris : Maisonneuve & Larose, 2004).

‘Son influence dans le milieu des *ᶜulama*

L’autre type d’influence qu’lbn ᶜAbbâd exerça consiste dans l’introduction du soufisme comme sujet d’études et son intégration dans les sciences islamiques. L’autorité d’lbn ᶜAbbâd dans le cadre du soufisme était reconnue parmi les *fuqah*â*’* alors qu’il était encore vivant.(1) Sa reconnaissance par les savants exotéristes, d’une génération à l’autre, a permis à son commentaire des *Ḥikam* et à ses lettres de trouver leur place dans le patrimoine littéraire considéré comme faisant partie de l’éducation traditionnelle du *faqîh*. Un bref survol des écrits de *fuqah*â’ qui ne furent pas considérés comme ayant été des soufis, comme on peut le voir dans leurs autobiographies *(fahâris),* nous donne une bonne idée de l’influence qu’lbn ᶜAbbâd a été capable d’exercer dans le milieu des *ᶜulama’* bien après sa mort.

La référence la plus ancienne que nous ayons de la reconnaissance de l’autorité d’Ibn ᶜAbbâd parmi les *fuqahâ’* date de l’époque où Ibn ᶜAbbâd assumait la charge de prédicateur et d’imam a la Qarawîyîn de Fès. Une dispute naquit en Andalousie dans les cercles de *fuqah*â’ à ce sujet : « Peut-on s’engager dans la Voie en s’aidant des ouvrages de soufisme, ou bien l’aide d’un cheikh est-elle indispensable ? »(٢) Abû Isḥâq al-Shâṭibî

(1) Sa correspondance s’adressait principalement aux *fuqahâ’* : Abû Isḥâq al-Shâtibî, Yahyâ al-Sarrâj et Muhammad Adîba.

(2) *Al-Rasâ’il al-sughrâ,* p. 130. Voir aussi la réponse d’Ibn ᶜAbbâd dans P. Nwyia, 1961, p. 209-213. Pour la version de cette lettre provenant de Wansharîsî, cf. *Miᶜyâr,* XII, 201-211 ; pour le texte arabe, cf. *al-Rasâ’il al-sughrâ,* ed. Nwyia,

loin des extrêmes, tant de l'excès (*ifrât*) que du laxisme (*tafrît*). En effet, si l'interprétation de la Loi n'est pas guidée par une méthode spirituelle, impliquant intelligence, compréhension profonde (*fiqh*), clairvoyance, sens des proportions et des priorités, la conformité traditionnelle risque de devenir un conformisme rigide ou un littéralisme aveugle. Sha'rânî, à l'instar d'autres grands savants musulmans, rappelle justement que l'islam est fondé sur la facilité, la souplesse et la largesse, en accord avec la nature foncière de l'être humain (*fitra*) et de la création tout entière.

Il cite à ce sujet plusieurs versets coraniques qui servent de principes directeurs dans l'interprétation de la Tradition sacrée et a fortiori de la Sharî'a : *Dieu veut pour vous la facilité, Il ne veut pas vous imposer des difficultés* (2 : 185) ; *Dieu ne charge nulle âme d'un fardeau qu'elle ne peut supporter* (2 : 286) ; *Il ne vous a imposé aucune gêne dans la religion* (22 : 78) ; *craignez Dieu autant que vous pouvez !* (64 : 16) Parmi les traditions prophétiques, Sha'rânî cite notamment : *La religion est une facilité. Si on essaie de pratiquer la religion de façon extrême, elle aura toujours le dessus.* (Bukhârî) *Rendez les choses aisées, ne les rendez pas difficiles ! Apportez la joie, ne faites pas fuir les autres !* (Bukhârî, Muslim) *Lorsque je vous ordonne quelque chose, faites-le dans la mesure de vos capacités.* (Bukhârî) Et à celui qui lui faisait serment de l'écouter et de lui obéir, le Prophète disait à voix basse : *« Dans la mesure de tes capacités ! »* (Bukhârî)

A suivre

unité centrale et essentielle, d'autre part, ce qui relève des différences providentielles (*ikhtilâf*) d'adaptations traditionnelles du *dîn*, selon les époques, les conditions et les peuples, et, enfin, ce qui est source de divisions (*tafarruq*) internes et inévitablement centrifuges. Ces divisions ruinent les fondements du message divin, et éloignent de la voie sacrée (*sharî'a*)[2] que Dieu a établie et recommandée, dans toute son ampleur, sa clarté, sa richesse et sa diversité, pour le bien de Ses créatures.

Le musulman en particulier est appelé à suivre cette Direction divine menant à la source originelle et spirituelle de son existence, qui est Dieu Lui-même, en prenant pour guide et maître Muhammad, « sceau des prophètes et des messagers ». Grâce à la conformité au modèle prophétique, le musulman consacre sa vie au Nom de Dieu, et réalise sa nature ontologique de serviteur et représentant de Dieu sur terre, assumant la charge des devoirs (*taklîf*) qu'Il lui impose. D'après les savants musulmans, cette responsabilité a une double dimension, spirituelle et temporelle, qui se décline et s'articule, à la fois, dans le sens vertical, envers Dieu, à travers la pratique des œuvres d'adoration (*'ibâdât*), et dans le sens horizontal, envers ses semblables, à travers les transactions et interactions humaines (*mu'âmalât*). La science traditionnelle du *fiqh* s'attache précisément à définir, en termes de principes, de méthodes et d'applications, le cadre exotérique normatif qui régit la responsabilité religieuse du musulman en ce monde en vue de l'Autre.

Si les principes de la foi sont uniques, les sources de toute connaissance sacrée sont elles aussi communes. Ce sont avant tout le Coran, Parole de Dieu révélée, et la Sunna, c'est-à-dire l'ensemble des dires, faits, gestes, approbations et qualités qui constituent la méthode et le modèle parfaits du Prophète Muhammad, et qui font partie intégrante de la révélation. Le lien avec le Prophète, médiateur et guide par excellence vers la connaissance, est maintenu et vivifié grâce à la continuité de la chaîne traditionnelle des savants et de leurs disciples, permettant de garantir une compréhension juste et profonde de l'islam, dans son esprit et sa lettre, en termes de doctrine et de pratiques, pour le bénéfice de l'ensemble de la communauté musulmane.

A cet égard, la méthode et l'exemple du Prophète enseignent que la compréhension et l'application des principes divins doivent être inspirées par la sagesse et la miséricorde, en tenant compte des finalités supérieures (*maqâçid*) de la Loi divine[3], et en veillant à maintenir le juste milieu (*al-wasatiyya*),

(2) L'étymologie du terme *sharî'a* désigne à l'origine, dans la langue arabe des bédouins, « le chemin menant le troupeau à la source d'eau vive ».

(3) D'après les savants musulmans de l'époque classique, comme Al-Ghazâlî et Al-Shâtibî, la Sharî'a a pour objectif principal de préserver cinq éléments fondamentaux : la Tradition sacrée (*al-dîn*), la vie humaine (*al-nafs*), la raison (*al-'aql*), les biens matériels (*al-mâl*) et la descendance (*al-nasl*).

leur fonction spirituelle. Ces différents aspects mettent en évidence l'esprit de la Sharî'a et son intelligence propre, tout en soulignant en quoi, selon un célèbre hadith attribué au Prophète Muhammad, « les différences au sein de ma communauté sont une miséricorde ».

Universalité et sagesse de la Tradition sacrée

*En guise de Tradition sacrée (*al-dîn*) Dieu a tracé à votre intention la même voie (*shara'a*) qu'Il avait recommandée à Noé, celle que Nous t'avons inspirée, et celle que Nous avons recommandée à Abraham, à Moïse et à Jésus : établissez la Tradition et qu'elle ne soit pas pour vous motif à vous diviser !* (Coran, 42 : 13)

Sha'rânî entend aider les lecteurs, à commencer par ses propres élèves, à concilier l'obéissance à l'ordre divin d'« établir la Tradition sacrée et de ne pas vous diviser à son sujet » avec la croyance au principe selon lequel tous les grands imams, en dépit de leurs avis parfois divergents, disent vrai. Comment réaliser le sens profond et les implications pratiques de cette vérité de la foi pour qu'elle ne reste pas lettre morte ou une simple pétition de principe ? Le Coran appelle les musulmans à former une communauté fraternelle fondée sur l'unité des cœurs, animés par la foi en Dieu et Son Prophète, et à s'accrocher fermement à la « corde de Dieu » ou à « l'anse la plus solide », c'est-à-dire au principe de l'unicité divine (*tawhîd*) qui constitue le cœur de la « Tradition immuable et axiale » (*al-dîn al-qayyim*)[1]. Comme l'indique le verset coranique cité ci-dessus, cette Tradition divine est nécessairement une en son essence, mais elle s'est manifestée sous des formes multiples au cours de l'histoire sacrée de l'humanité, à travers les Lois révélées (*sharâ'i'*) successivement à Noé, à Abraham, à Moïse, à Jésus et enfin à Muhammad, c'est-à-dire les cinq grands messagers législateurs que le Coran qualifie de « doués de détermination » (*ulû al-'azm*). Dans ce contexte, il est nécessaire de bien distinguer entre, d'une part, ce qui constitue la réalité du *dîn* dans son

(1) Nous suivons en cela la définition donnée par le shaykh 'Abd al-Wahid Yahya René Guénon, pour lequel la « Tradition » est synonyme de « transmission », et comprend l'ensemble des doctrines et rites d'origine « non humaine » qui se sont transmises par voie orale et écrite, y compris les institutions qui en découlent. Ainsi, le *dîn* n'est pas simplement la « religion », au sens occidental du terme, mais comprend la Tradition entière incluant exotérisme et ésotérisme, et indique la vie et l'attitude traditionnelles elles-mêmes. C'est ce qui ressort du fameux « hadith Jibrîl *», dans lequel l'ange Gabriel apparaît sous forme humaine « afin de vous enseigner votre dîn ». Cet enseignement passe par une série de questions fondamentales auxquelles le Prophète répond, définissant trois dimensions : la pratique cultuelle (al-islâm*), les principes de la foi (*al-îmân*) et la voie contemplative (*al-ihsân*), auxquels s'ajoute un enseignement sur l'eschatologie.

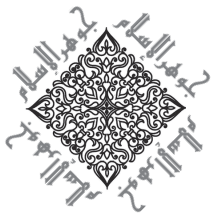

La sagesse de la Sharî'a selon la Balance Suprême de 'Abd al-Wahhâb al-Sha'rânî

par Abd–al–Wadoud Gouraud (1)

Dans son œuvre intitulée *Al-mîzân al-kubrâ*, « La Balance Suprême », le shaykh ʻAbd al-Wahhâb al-Shaʻrânî (Le Caire, 1493-1565) expose les positions doctrinales et le s avis religieux des imams fondateurs des quatre grandes écoles sunnites de jurisprudence islamique (*al-madhâhib al-fiqhiyya*). Il y donne les références scripturaires qui justifient les interprétations, tantôt convergentes tantôt divergentes, de ces savants de la Loi sacrée (*sharîʻa*), qui comptent parmi les premiers interprètes qualifiés (*mujtahidûn*) de la Tradition musulmane. Au nom du principe fondamental selon lequel « tous les grands imams des musulmans suivent la guidance (*hudâ*) venue de leur Seigneur », le maître propose une méthode singulière afin de concilier leurs avis apparemment contradictoires, à travers un système de « balance » qui doit servir à mesurer le degré d'intensité de chacune des règles formant les matières du droit islamique. Shaʻrânî offre enfin et surtout une lecture spirituelle de toutes les prescriptions religieuses, dont il essaie de faire apparaître les raisons d'être profondes, au point de vue tant doctrinal que rituel.

Plusieurs enseignements fondamentaux peuvent être tirés de cette *Balance suprême* : l'unité essentielle de la Sharîʻa et la pluralité providentielle des écoles jurisprudentielles ; l'autorité intellectuelle des grands imams, la complémentarité de leurs enseignements et leur validité réciproque ; la dimension symbolique des rites et des actions religieuses, leur signification intérieure et

(1) Texte tiré de l'avant-propos de notre traduction : Sharani, *Règles spirituelles et secrets de la prière*, éditions i, 2023.

fortement recommandé à chaque musulman d'avoir conscience de ses hautes dimensions éducatives et de les appliquer à son échelle personnelle, familiale et sociétale. Concrètement, il suffit de connaître et d'appliquer, chaque mois, un seul hadith authentique. Si on faisait l'expérience d'apprendre par cœur le hadith suivant et de l'appliquer pendant un mois : «***Nul n'atteint [la vraie] croyance à moins qu'il n'aime pour son proche ce qu'il aime pour soi-même*** », notre quotidien changerait, nos cœurs s'apaiseraient et les maladies qui l'assombrissent disparaitraient par la magie de l'amour !

11- Voir les traces matérielles du Prophète

Les Compagnons, qu'Allah les agrée tous, se sentaient honorés de conserver des souvenirs, des effets personnels et des traces qui appartenaient au Prophète, *sallā Allahu 'alyhi wa sallam*. Nul ne les a réprimandés, car on savait que leur intention était de tirer la *baraka* de ses effets bénis (grâle, chaussures, poils, sabres, manteau, dents, seau...). Abū Zum'a al-Balawī, barbier du Prophète, tenait à être enterré avec les poils de notre Bienaimé. Khālid Ibn al-Walid en gardait d'autres dans son turban. Pour nous, il suffit d'avoir les images disponibles de ses traces et lieux de visite en Arabie; L'objectif n'étant pas de les adorer ; loin de nous tout esprit d'excès que nous combattons sans merci ; mais plutôt pour s'en rappeler, sentir le parfum prophétique et en tirer la bénédiction.

12- Craindre Allah avec révérence

La clef de l'amour pour le Prophète est la *taqwā* d'Allah, Le craindre avec révérence. Nul ne pourra accéder à cet amour s'il n'applique pas les préceptes de l'Islam. Ce joli présent qu'est l'amour, Allah ne le donnera qu'à quiconque L'obéit en privé comme en public. Et cette *taqwā* aide beaucoup à progresser dans le Bonne Voie. On imaginera mal comment Allah puisse-t-Il honorer un cœur qui n'a pas été purifié des maux ou un homme qui ne Le craint pas !

Épilogue

Grâces indescriptibles et bonheurs sans fin ni nom, l'amour du Prophète est un don divin (*mawhiba*). Il n'est pas de formule qui le provoque, ni le fait accroître ! Il ne peut qu'être goûté, sans mots, sans expressions par un cœur purifié, abreuvé d'amour et de piété. D'ailleurs, quel langage est en mesure de le décrire ou de le contenir. Ce noble amour doit être sollicité auprès d'Allah. Lui seul, par Sa douceur, l'accordera. Avec notre Bienaimé, nous invoquons :

Mon Seigneur !

J'implore Ton amour, l'amour de ceux qui T'aiment, et les œuvres qui me conduisent à Ton amour. Mon Seigneur ! Fasse que Ton amour me soit plus cher que ma propre âme, ma famille et l'eau fraîche. (Rapporté par at-Tirmidhī).

N. al-Madani,

Compagnons perdirent la raison. Certains en devinrent fous ; d'autres furent paralysés et ne purent plus tenir débout. Certains perdirent la parole et ne purent plus parler ; d'autres encore tombèrent par terre. 'Umar fut parmi ceux qui perdirent la raison ; 'Uthmān perdit la parole. 'Ali fut paralysé. Quant 'à 'Abd Allah Ibn Unays, il mourut de chagrin ». (Al-Sīra al-Halabiyya, III, p. 35)

8-Assister aux séances d'invocation

Le Prophète, *sallā Allahu 'alayhi wa sallam*, aimait la poésie et a prescrit sa récitation. Lui-même déclamait occasionnellement quelques vers. C'est que la poésie ravive l'amour et nourrit le cœur qui le porte. Il est recommandable (*mandūb*) que les musulmans puissent assister à des séances d'invocation, de chants religieux et des subtils poèmes qui célèbrent la beauté et la grandeur du Prophète. Chanté par des voix sublimes, depuis des siècles, le poème d'*al-burda* fait vibrer les millions de musulmans à travers le monde, pendant les moments de joie et de peine. N'oublions pas que le Prophète avait offert son manteau (*burda*) au grand poète Ka'b Ibn Zuhayr lors que ce dernier lui déclamait :

Certes, le Messager est une lumière qui illumine...

9-Suivre un modèle- éducateur :

Tous les musulmans sont appelés à suivre l'exemple moral du Prophète, *sallā Allahu 'alayhi wa sallam*. De par leur persévérance et piété, certains Saints (*waliyy*) sont plus proches du modèle prophétique. Leur comportement, paroles et actions quotidiennes y sont conformes. Il est donc souhaitable de les suivre, pour voir incarnées, dans leur comportement, la moralité et la *sunna* du Prophète. Sans cela, la *sunna* resterait un vague concept. Une célèbre tradition dit : « ***On fréquentera celui dont la rencontre nous rappelle Allah ; dont la prestance touche le for intérieur ; dont les paroles augmentent la piété ; dont le comportement fait se détacher de ce bas-monde. Tant qu'on est dans sa proximité, on ne commettra point de péchés. Il conseille non par les paroles, mais par les actes*** ».

«عَليكَ بصحبة مَن تُذَكِّركَ باللهِ، عَزَّ وجَلَّ رؤيته، وتَقع هيبته على باطنك، ويَزيد فى عملك مَنْطِقُهُ، ويُزَهِّدُكَ فى الدنيا عَمَلُه، ولا تَعصى الله مادُمتَ فى قربه، يَعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله».

Ainsi, sayyidunī Mohamamd, *sallā Allahu 'alayhi wa sallam,* n'est pas seulement un simple nom enfoui dans l'histoire, ou une figure religieuse occasionnellement évoquée, mais une source de vie qui nourrit au quotidien nos esprits et oriente nos parcours. Nous le fréquentons en accompagnant un de ses « héritiers ». « ***Les savants ne sont-ils pas les héritiers des Messagers ?***», dit un célèbre hadith.

10- Vivre ses enseignements au quotidien

Loin d'être des récits historiques sans vie, la *Sunna* (Traditions prophétiques) est un ensemble vivant d'enseignements, à vivre au quotidien. Il est ainsi

Afin de renouer le Pacte sacré qui nous relie au Prophète, il est recommandable de méditer, quelques instants dans la journée, la grandeur, la bonté de notre Bienaimé, ainsi que les sacrifices et souffrances qu'il a éprouvées pour nous. Ces moments intimes, de méditation et d'amour, vécus dans le for intérieur, purifieront les consciences et les transporteront. Le Prophète n'a-t-il pas associé la perfection de la foi à son amour en disant : « ***Nul n'atteindra [la vraie] croyance, à moins que je ne sois plus aimé, par lui, que lui-même*** » ? L'aimer est donc un acte de foi à vivre par le cœur et par l'esprit. La foi se renouvelle et se régénère par la méditation.

5-Célébrer régulièrement les grands événements de sa vie:

La vie du Prophète, *sallā Allahu ʿalayhi wa sallam*, s'est étendue sur vingt-trois ans, passés dans l'adoration, la prédication (*daʿwa*) et les invocations. Quelques événements majeurs ont cependant marqué plus que d'autres sa vie et celle de l'Islam : citons par exemple : sa Naissance (570), le voyage nocturne et l'ascension (620), l'Immigration (622), le retour triomphal à la Mecque (630), son départ vers Dieu (632)... Il ne s'agit nullement d'instituer de nouvelles fêtes religieuses. Il s'agit simplement d'occasions à connaître, à se remémorer et à rappeler aux enfants pour que restent, à jamais, vifs ces événements ayant changé l'Histoire.

6-Etudier passionnément la Sīra

Il est fortement recommandé de connaître les principaux faits et gestes qui ont constitué la trame, historique et spirituelle, de la *sīra muhammadiyya*. Lorsqu'on lit les ouvrages de la sainte Biographie de notre Bienaimé, on mettra l'accent sur les épisodes et moments les plus universels qui révèlent la grandeur de ce personnage exceptionnel et la quintessence de son message éternel. A défaut d'un savoir historique solide de cette époque, il vaudrait mieux ne pas trop s'arrêter aux batailles et faits issus du contexte tribal de la péninsule arabique ; car le Message de l'Islam est universel, spirituel et moral ; et ce caractère universel ne peut être perçu que si on place la *sīra* dans une continuité spirituelle qui dessine l'exemple parfait servant à guider l'humanité entière. « ***Et Nous ne t'avons envoyé qu'en tant qu'annonciateur et avertisseur pour toute l'humanité. Mais la plupart des gens ne savent pas*** », dit Le Coran (Saba' : 34 : 28). La lecture régulière de cette sīra crée un lien intime et direct avec le Prophète.

7-Lire les ouvrages de Compagnons (Sahhāba)

Compléter nos lectures et notre compréhension de la vie du Prophète, par la fréquentation d'ouvrages qui décrivent la vie des Compagnons, qu'Allah les agrée tous, afin de voir leur dévouement spectaculaire. Nous rapportons ce qu'a relaté al-Halabī dans sa *Sīra* : « *Lorsqu'on a apprit le décès du Prophète, les*

incarné dans sa moralité exemplaire. « ***Le Messager d'Allah était un Coran qui marchait*** », dit 'Aicha, notre mère. À titre d'exemple, nous proposons de réciter les sourates 93 et 94 (*Wa- Dhuhā* et *alam našrah laka sadraka* ?) pour voir Allah s'adresser à Son Bienaimé.

2- Lire régulièrement les recueils de Hadith authentique

Le musulman doit lire ces recueils et veiller à bien comprendre les chapitres et passages ayant une portée universelle, humaine et spirituelle où apparaît, clairement, les hautes qualités morales et religieuses de notre Bienaimé. Il est donc recommandé de lire certains chapitres de *Sahīh* al-Bukhārī, *Sahīh* Muslim, d'*al-Muwatta'* de Mālik et d'autres recueils comme *al-Arba'īn* d'al-Nawawī et *al-Jāmi' al-saġīr* d'al-Suyūtī. Si on lisait attentivement ces perles de sagesse, on touchera la magnificence et l'éloquence des hadiths. Le Prophète a modestement dit : « ***On [Allah] m'a accordé des paroles synthétiques et denses*** ».أُتيتُ جوامعَ الكَلِم. On se rappellera en outre que celui qui a proféré ces Paroles sages était illettré. Même les grands penseurs de notre temps ne sont pas en mesure de produire des sentences aussi concises, aussi pertinentes et profondes. Pour apercevoir la valeur de ses enseignements éternels, il suffit de lire ce hadith : «***Les actions ne valent que par les intentions*** ».

3- Prier en permanence sur le Prophète

Chaque musulman doit consacrer quelques minutes par jour, peut-être après les prières régulières, pour réciter la *salāt* et le *salām* sur le Prophète, *sallā Allahu 'alayhi wa sallam*. Ce genre sublime d'invocation est à vivre avec le plus profond recueillement et présence ; car le sens de cette prière est de supplier Allah pour qu'Il élève le rang du Prophète. Il est recommandé de réciter une des formules consacrées, notamment la formule ibrāhīmiyya : « ***Allāhumma salli 'alā Muhammad^{in} wa 'alā 'āli Muhammad^{in} kamā sallayta 'alā Ibrāhīma wa 'alā āli Ibrīhīma ! Wa bārik 'alā Muhammad^{in} wa 'alā āli Muhammad^{in} kam bārakta 'alā Ibrāhīma wa 'alā āli Ibrāhima fī al-'ālamīn ; Innaka Hamīd^{un} Majīd^{un}*** ».

« *Seigneur ! Accorde Ta Prière et Tes salutations à Muhammad et à la famille de Muhammad, comme Tu l'as fait pour Ibrāhīm et la famille d'Ibrāhīm. Accorde aussi ta bénédiction à Muhammad et à la famille de Muhammad, comme Tu l'as fait pour Ibrāhīm et la famille d'Ibrāhīm parmi les Univers. En vérité, Tu es le digne de louange et le Glorieux* ! »

Ce rite s'inscrit dans l'obéissance à un ordre divin qui dit : «***Certes, Dieu et Ses Anges prient sur le Prophète; ô vous qui croyez priez sur lui et adressez [lui] vos salutations.*** » (Coran, 33 :56).

4-Méditer (tafakkur) la grandeur du Prophète

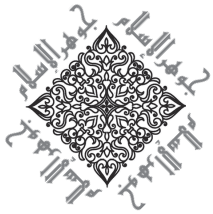

Douze conseils pour accroître notre amour pour le Prophète Mohammad

Sallā Allāhu ʻalayhi wa sallam

Aimer sincèrement le Prophète, *sallā Allāhu ʻalayhi wa sallam*, est une miséricorde divine. Elle n'est accordée qu'à ceux qu'Allah a élus parmi les musulmans, bien que cet amour soit un devoir religieux qui incombe à tous. Le sens profond de l'Islam n'est autre que l'amour d'Allah et de Son Messager. Ses Compagnons ont parfaitement compris ce sens et ont exprimé un amour sans fin ni limites pour l'Envoyé d'Allah qui rayonnait devant eux. Ce fut un amour qui emplissait leurs cœurs et vies au point de préférer mourir que de voir une épine le blesser. Par ces brèves lignes, nous nous rappelons quelques conseils pour renforcer l'amour à l'égard de notre Bienaimé, *sallā Allāhu ʻalayhi wa sallam*. Cependant, une évidence s'impose : cet amour est à solliciter auprès d'Allah. Lui seul l'accordera à qui Il veut, parmi Ses serviteurs. Élixir de l'existence, essence de la religion et parfum de vie, cet amour se mérite !

Le Prophète ﷺ a dit : « Aimez Allah pour les grâces dont Il vous a comblés ; aimez-moi pour l'amour d'Allah et aimez les membres de ma famille pour mon amour » (Rapporté par At-Tirmidhi et Al-Hakim)

1- Régulièrement le Coran

Le musulman doit réciter et méditer les profondes significations des versets coraniques, notamment ceux qui exaltent la grandeur du Prophète et célèbrent ses innombrables mérites et vertus. En récitant ces passages, on se souviendra que le Coran a été déposé dans son cœur béni. Allah affirme cette grande vérité : « ***L'Esprit fidèle (Gabriel) est descendu avec lui [le Coran] sur ton cœur ; pour que tu sois au nombre des avertisseurs*** ». (Coran : 26 : v. 193-194). Le Coran a été transmis dans sa propre langue, l'arabe clair. Il a été ensuite parfaitement

SOMMAIRE

Douze conseils pour accroître notre amour pour le Prophète Mohammad 3

Sallā Allāhu ʻalayhi wa sallam

La sagesse de la Sharîʻa selon la Balance Suprême de ʻAbd al-Wahhâb al-Shaʻrânî 8

par Abd-al-Wadoud Gouraud

Ibn ᶜAbbâd, modelé de la Shâdhiliyya By ᶜAbd al-Hâdî Honerkamp, University of Georgia, at Athens 12

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 7/8 - 22ème année